الخطبة العصرية

للجمعة .. والعيدين .. وعند القبر

ابراهيم محمد الجمل

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٤٠ شارع رشدي - عابدين - القاهرة
تليفون : ٣٩١٨٦٩١ فاكس : ٣٩٣٧٣٢٦

تقـــديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. وبعد: طغى أكثر الناس، وانحرفوا عن طريق الله، وتمايلوا مع الأهواء، وانقادوا لشياطين الجن والإنس..

وكأنهم سيخلدون فى المعمورة ، التى كتب الله على ناصيتها الفناء ، وكتب على الإنسان نفسه الفناء ، ولكن المادة تملكت على قلبه ، فلم يعد يفكر إلا فى وقته وحاله .. ونسى وقوفه أمام الله رب العالمين .

ولذلك كان عمل الداعية عملا شاقًا ، يحتاج لكثير من الأمور ، التى تمكنه أن يبارز أهواء النفس عند الإنسان ، وينقل أخاه من الظلمات إلى النور ، بتوفيق من الله .

– وتبرز أيضًا أهمية خطبة الجمعة فى حياة المسلم ؛ ذلك أنها المؤتمر الإسلامى الأسبوعى الذى يؤدى شكله العام إلى الحنان للإسلام، والرجوع إليه، فاجتماعات المسلمين تجد فيها راحة نفسية، فالوقار والأدب من سماتها، واحترام الآخرين من صفاتها..

– ولكن ينقلب الداعية أحيانًا إلى موظف ، يدعو ليتقاضى ثمن ما ألقاه ، فلا يكون العمل خالصًا فى الغالب ، ويتجه بحديثه إلى التطرف ، ويميل إلى الاستكبار والعظمة مما يجعل الناس لا يثقون به .. وهؤلاء ندعوا الله لهم أن يريهم طريق الصواب ، فيرون الحق حقًا والباطل باطلا .

ولوجود– مثل هؤلاء– دخل كثير من غير أهل العلم هذا المجال لوجود الفراغ فيه، وعدم التزام العلماء، فأسفر أيضًا عن تطرفهم لعدم علمهم بقواعد الإسلام ومفاهيمه الصحيحة.

– ولقد دخلت يومًا مسجدًا كنت قد كلفت بإلقاء خطبة الجمعة لأول مرة فيه ، وحدث أن خاننى الوقت ، ولم أستطع الوصول .. فدخلت المسجد ، فوجدت خطيبًا ذا مهابة ، متحمسًا .. فحمدت الله على شغل مكانى ، فإنهم سيصلون الجمعة لا الظهر .. ولكنه سرعان ما جاءت نهاية الخطبة ، ووجدته يقول :

« اللهم اغفر للسلطان الغورى » قارئًا ما أمامه لا فاهمًا فأدركت حاجة المسلمين خاصة الدعاة إلى كتاب يجمع العديد من الخطب ، فوضعت هذا الكتاب .

وقد راعيت فيه :

– أن أبدأ كل خطبة بشئ من التوحيد ، حتى يتمكن المصلون بعد ذلك من تلقى العلم والمسائل الفقهية .

فيجب أن تعلم أن كثيرًا من الناس لا يدخلون المسجد إلا يوم الجمعة ، وإن لم تتلق هذه المسائل الفقهية من خلال خطبة الجمعة فلن يتلقاها أحد .

- سهولة العبارة واللفظ ، والاستشهاد بأقوال السلف فى القضايا الحديثة كالغناء.

- اختيار مواضيع عصرية كثيرًا ما تشغل الناس فى هذه الأيام .

ولذلك اسميته «بالخطبة العصرية» .

أما الداعية الذى سيقوم بإلقاء الخطبة فنسأله أشياء .

أولاً : أن يلزم نفسه طاعة الله ، وأن يكون قدوة للمصلين ، حتى يتقبلوا دعوته فيعملون بها ، فيعم الخير إن شاء الله:

وصدق الله تعالى حينما قال :

﴿أتأمرون الناس بالبر ، وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] .

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما تصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وقول الآخر :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا ... إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها
تعيب دنيا وناسًا عاملين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

ثانيا : أن يلقى خطبته بانفعال ، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينفعل بها فى نفسه (فكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحمرت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم) .

ثالثا : أن يلتفت حوله . ويقرأ فى جميع المجالات فى السياسة والطب والهندسة والاجتماع .. إلخ حتى يكون داعية فطنًا ، فلا يخدع ويصبح بعد ذلك ذا قدرة لحل مشكلات الناس .

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به ، إنه قريب مجيب الدعاء ...

إبراهيم محمد الجمل

القاهرة فى غرة المحرم ١٤٠١هـ

أولاً
خطب الجُمعة

١- مع التوحيد

الحمد لله رب العالمين ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد .

لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا يفنيه الليل ولا النهار ، ولا يخفى عليه الإعلان ولا الإسرار سبحانه الواحد القهار .

أسألك ربى أن تجنبنا موارد الظالمين ، وأن تجعلنا عند سكرة الموت ، ووحشة القبر ، ووقفة الحساب من الآمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في سلطانه ، ولا مناوئ له فى علو شأنه ، العزيز الذى لا يغلب ولا يذل ، والقوى فكل ما سواه زائل مضمحل ، يقبل تائبًا ، ويعطى محرومًا ، ويغيث لهفانًا ، ويفقر غنيًا ، ويغنى فقيرًا ، ويقصم جبارًا ، ويهلك ظالمًا ويرفع أقوامًا ويخفض آخرين .. ما للعباد عليه حق واجب إن عذبوا فبعدله ، وإن نعموا فبفضله ، وهو الكريم الواسع، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد صلوات ربى وتسليماته عليه ، النبى الأمى الذى علم المتعلمين ، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين، والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط ، ومعترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين .

سيدى رسول الله ، صلى الله عليك ، اللهم صل على أستاذ الوجود ، وجلاء النفوس ، وذهاب الهموم ، ونور الأبصار ، وغذاء الأرواح .. محمد .

يا رب صل على الحبيب محمد   واجعله شافعنا بفضلك فى غد

فلقد عرفتك منعمًا متفضلا   ولذا دعوتك فاستجب لى سيدى

أما بعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ، حديثى إليكم اليوم فى مؤتمرنا الأسبوعى العظيم حول التوحيد .

انظر أخا الإسلام إلى العالم من حولك ، وأمعن النظر فيه ، ثم أمعن النظر فيه تجده قد انطلقت منه الشهوات ، وفُعلت فيه المنكرات ، وعُصى رب الأرض والسموات ، وانبرت فئة ضالة تنكر وجود الواحد الأحد تُسمَّى بالشيوعية ، والشيوعية يا عباد الله داء عضال ، وإرهاب

وجاسوسية ، واستبداد وديكتاتورية ، وفساد فى المبادئ الأخلاقية ، ودعوة إلى اللاأخلاقية ، وخراب فى النواحى الاقتصادية ، وتدمير للطهر والعفاف اللذين دعت إليهما الشريعة الإسلامية . ودليل ذلك تلك البلاد التى حلت فيها الشيوعية . أسكنتها دار المذلة ، وأردفتها مكانة الجهلاء ، ومصر واحدة من هذه البلدان ، فقد قضت فترة تركن إلى أهل الشيوعية فحل الفقر ، وفسدت الأخلاق ، وظهرت المركزية واللامركزية

أيها المسلمون ، ومن أهم ما يتميز به الإسلام مخاطبته للعقل حتى يصل إلى الحقائق .. انظر أخى إلى الثعبان ، واسأله من جعلك تعيش **وهذا السم يملأ فاك ؟** سيقول لك الله ، واسأل الفيل ، من الذى يرزقك مع ضخامة حجمك ، ولا ينسى النملة مع ضآلة حجمها ؟ سيقولون لك بلسان الحال .. الله .. واسأل الجبال .. من الذى ثبتك أوتاداً حتى لا تهتز الأرض ؟ .. ستقول لك الله ، واسأل الفلك .. من الذى أبدع فى صنعك ؟ . ﴿ **لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** ﴾ [يس: ٤٠]. سيقول لك الله .. واسأل الهواء كيف تحسه الأيدى .. ويخفى عن عيون الناس .. من أخفاك ؟ سيقول لك الله ، واسأل الأبيض الذى ولد من أبوين أسودين .. **من ذا بالبياض أتاك ؟** سيقول لك الله ، واسأل الأسود الذى ولد من أبوين أبيضين .. **فمن ذا بالسواد رماك ؟**.. سيقول لك الله ، واسأل المريض الذى كاد يموت ثم صح وعوفى .. **من عافاك ؟** سيقول لك الله ، واسأل الصحيح كيف تكون صحيحاً قوياً ثم أصبحت جسداً هامداً .. من سلب منك قوتك وروحك فى أقل من لمح البصر ؟ . سيقول لك الله ، **واسأل البصير** له عينان براقتان ، ويسير وسط الزحام يتخبط بهذا وذاك ، ويهوى فى حفرة كان **يعمل** حسابها .. من الذى أهواكا ؟ سيقول لك الله ، واسأل الكفيف .. كيف تسير وسط الزحام بلا قائد .. فمن ذا يقود خطاكا ؟ .. سيقول لك الله ، واسأل العالم بأجمعه النجوم والكواكب والصحراء والخضراء والبحر واليابس .. اسألهم من الذى خلقكم سيقولون لك فى وقت واحد وبلسان حال واحد ، وتتفاعل معك الدنيا بأسرها .. لتجيب .. الله رب العالمين .

* * *

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... **يا شافى الأمراض من أرداكا ؟**
قل للمريض نجا وعوفى بعدما ... **عجزت فنون الطب من عافاكا ؟**
قل للصحيح يموت لا من علة ... **من بالمنايا يا صحيح دهاكا ؟**
قل للبصير وكان يحذر حفرة ... **فهوى بها من ذا الذى أهواكا ؟**
بل سائل الأعمى خطا بين الزحا ... **م بلا اصطدام من يقود خطاكا ؟**

قل للجنين يعيش معزولا بلا ... راع ومرعى ما الذى يرعاك ؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكا ... ء لدى الولادة ما الذى أبكاكا ؟
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه ... فاسأله من ذا بالسموم حشاكا ؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو ... تحيا وهذا السم يملأ فاكا ؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهداً وقل للشهد من حلاكا ؟
بل سائل اللبن المصفى كان بيـ ... ـن دم وفرث من ذا الذى صفاكا ؟

قال أحد العارفين بالله وهو يناجى ربه : « **سبحانك ربى ، آمن بك المؤمن ، ولم ير ذاتك ، وجحدك الجاحد ، ووجوده فى ملكك دليل وجودك وعظمة ذاتك** » . وقيل للإمام على رضى الله عنه : متى كان الله ؟ فقال : ومتى لم يكن ؟ قيل له : فما الدليل على وجوده؟ فقال: ومتى غاب؟، سبحانه هو الأول فلا شئ قبله ، والآخر فلا شئ بعده ، والظاهر فلا شئ فوقه ، والباطن فلا شئ دونه.. سبحانه، علا: فقهر، وبطن: فخبر، وسلك : فقهرا !

أيها المسلم : إن كثيراً من آيات ربك تناشدك التوحيد الحق ، وتطالبك بالإخلاص لربك ، وهل هناك من يستحق التوحيد المصفى ، والإخلاص الفياض غير مولانا عز وجل ..

فلنقرأ سوياً قول ربك فى صفات عباد الرحمٰن : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ [الفرقان: ٦٨] . ولنستعرض هذه الآيات المحكمات المباركات : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾ [النساء: ٣٦] . ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [النساء: ٤٨] . ولقد ذم الله سبحانه قوماً اتخذوا من دونه أنداداً : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ [البقرة: ١٦٥] .ومن هذا كله ندرك أن المؤمن لا يكون مؤمناً ، والموحد لا يكون موحداً إلا إذا تجرد من نفسه وهواه ، وتجرد من شهواته وأنانيته ، وتجرد من أوهامه ووساوسه وملأ قلبه بحب الله وحده : ﴿ **الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين** ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٢] . فربك يا أخى هو الذى أشرف على روحك قبل أن تدخل جسدك ، وهو الذى كونك هذا التكوين البديع ، وقبل ذلك وبعد ذلك ، حياتك ، وموتك ، وطعامك وشرابك ، وسعادتك ، وشقاؤك ، وعزك ، وذلك ، ومصيرك ومآلك .. كلها بيد الله الواحد القهار .

ولم يكفل لك الضروريات فى هذه الحياة فقط ، بل أعطاك من الكماليات ما تتنوع به لَذَاتك ، وتتم به بهجتك ، غمرتك نعماؤه ، وأشرق عليك ضياؤه ، وعَذُبَ لك ماؤه ،

وَلَطُفَ من حولك هواؤه ، وأحاطت بك بدائع أكوانه من شموس ، وأقمار ، وليل ، ونهار ، وإصباح وإمساء ، فهلا تهتف فتقول :

حيثما كنت أشاهد حسنه — فهو محرابي إليه قبلتي
إن أمت وجداً ، ثم رضا — وأعنائي في الورى وشقواتي
يا طبيب القلب يا كل المنى — جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري وحياتي دائماً — نشأتي منك وأيضاً نشوتي
قد هجرت الخلق جميعاً أرتجي — منك وصلا فهل أقضي أمنيتي

أخي المسلم : هذا هو شعور عباد الرحمن مع ربهم العزيز الودود ، اتجاه بجميع الجوارح ، وحب بكل المشاعر ، وذوبان فى التوحيد الحق ، وفناء فى الحب الذى لا يعرف حدوداً ولا مقدمات ولا شروطاً . لأن حبهم وهج الإيمان المتقد ، وصدى الإيمان الصارخ فى الأفئدة والعروق .. ولقد انتصر المسلمون الأولون حين صدقوا فى توحيدهم ، وصدقوا فى عقائدهم ، وصدقوا فى جميع اتجاهاتهم ، ولقد تفرق المسلمون وضعفوا فى هذه الأيام حين اختلط توحيدهم بالشوائب ، واختلطت عقائدهم بالمفاسد ، وضعفت نفوسهم أمام أوهام الحياة ، وبريق الهوى : **﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه ، وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ﴾** [الجاثية: ٢٣] ؟ .والمسلمون اليوم إزاء التوحيد الحق أصناف وشيع ، إفراط هنا ، وتفريط هناك ، تشديد وتعنت عند البعض ، وإسراف وشطحات عند البعض الآخر ، والحنيفية السمحاء وسط ، والإسلام وبنو الإسلام بريئان من كل خلاف نابع عن الهوى ، ومن كل فرقة لا تبغي الالتئام : **﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].**

أيها المؤمنون : اجعلوا الله أمامكم فى كل شيء ، إذا اشتريت تذكر الله ، وإذا بعت تذكر الله، وإذا ظلمت تذكر الله، وعندما تتزوج تذكر الله.. تذكر الله فى متجرك ، وفى مصنعك ، وفى بيتك .. فى كل وقت من أوقاتك تجد الله معك يؤازرك ويوفقك ، ويسدد خطاك :

يقول رسول الله ﷺ : **« ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصًا ، إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ، ما اجتنب الكبائر »** . وقال : **« جددوا إيمانكم »** ، قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : **« أكثروا من قول لا إله إلا الله »** . وفى الأثر : **« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »** .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين : والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . **وأشهد أن لا إله**

إلا الله .. وحده لا شريك له الملك الحق المبين . **وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين** .. وبعد :

أيها الأخوة المؤمنون : أكثروا من التفكر فى خلق الله ، ودققوا النظر فيه ، وأكثروا من الاطلاع على العلوم الكونية ، تجدوا أن قدرة الله متمثلة فيها . فللكون ألسنة ناطقة ، وعليها براهين صادقة ، تقر وتشهد أن لا إله إلا الله . وإياك أن تفكر فى ذات الله ، فإنك لن تستطيع أن تصل إلى كنهها ، لأنك مخلوق وهو الخالق ، فكيف يدرك المخلوق حقيقة الخالق ؟ **(فكل ما يخطر ببالك ، فالله بخلاف ذلك)** .

– وعليكم أن تكثروا من ذكر الله والاستغفار . فقد قال أحد العلماء العارفين بالله : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة ، فقال له أحد الجالسين : فكيف إذا ذكر الله ؟ قال العالم العارف : إذا ذكر الله نزلت الطمأنينة ، أو ما قرأت قوله تعالى : **﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله • ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾**[الرعد: ٢٨]

وفى الحديث القدسى الذى رواه البخارى ومسلم : **« أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبرًا : تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرب إلى ذراعًا ، تقربت إليه باعًا ، وإن أتانى يمشى ، أتيته هرولة »** .

وقال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى والحاكم : **﴿ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ »** . قالوا بلى يا رسول الله . قال : **« ذكر الله »** .

أيها المؤمنون .. ولكننا نرى بعض العابدين والملتزمين خدعهم الشيطان فأفهمهم أن مكانتهم أصبحت مكانة مرموقة ، وأنهم عبدوا الله حق العبادة ، فوالذى لا إله غيره لو نزل الإنسان من بطن أمه ساجدًا على الجمر إلى أن يتوفاه الله ، ما أدى لله حق نعمة واحدة من نعمه . فإياك أن تغتر بعبادتك ، واسمع معى ما حدث لأحد الذين أعلنوا أنهم أعبد أهل الأرض فخاطبه أولو العلم ، وقالوا له : لست بأعبدهم ، فسر فى الأرض ، فسار الرجل فى الأرض حتى إذا وصل إلى مكان قد بلغ الجوع والظمأ منه مبلغًا ، فرأى بستانًا فذهب وطرق بابه فطلب تفاحة ، فلم يعطه البستانى ، ولما سأله عن ذلك قال : لأنى فقير وما آخذه لا يكاد يغطى نفقة أولادى وعندما يحضر صاحب البستان سأعطيه ثمن التفاحة ، وأشهد الله أن ما معى لا يكفى ثمن التفاحتين ، قال أعطى لصاحبك ثمن هذه التفاحة التى أعطيتها لعابر

السبيل ؟، قال : نعم بهذا أمرنى ربى ، قال : أنت أعبد منى . وسار فى الأرض ، حتى إذا وصل إلى مكان منقطع ليس فيه زرع ، ولا ماء ، وحرارة الشمس حامية تلفح الوجوه ، ولكنه سمع صوتًا فاتجه نحوه ، فرأى رجلا مقطوع اليدين ، مقطوع الرجلين تأكل الزنابير من بدنه ، وينزف الدم من جسمه ، ليس معه زاد ، ولا شراب ، ويقول بأعلى صوته الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرًا من خلقه ؟ قال له : عافاك ؟، وحيد فريد ليس معك زاد ، تأكل الزنابير من بدنك ، ينزف الدم من جسمك ، وتقول عافاك ؟!!، قال : ابتعد عنى يا جهول ، ألم يجعل لى لسانًا يذكره ، وقلبًا يشكره ؟، والله إن هذه الحالة عندى أحب إلى من أكل التفاح .

اللهم أصلح فساد قلوبنا ، وانزع الغل والحسد من صدورنا ، وارزقنا الاستقامة على طريقك ، اللهم اجعل خير أيامنا خواتيمها ، وآخر كلامنا لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ .. عباد الله **﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾** وأقم الصلاة .

٢ - احتياجك إلى الله وقوة جبروته

الحمد لله القاهر فوق عباده فلا ممانع . والظاهر على خليقته فلا منازع ، والآمر بما يشاء فلا براجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع ..

نسألك يا الله أن تستر عوراتنا ، وتؤمن روعاتنا ، وتغفر لنا ذنوبنا ، وأن تحيينا على الإسلام ، وتميتنا على الإيمان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، ملك الملوك ، وقاهر الجبابرة ، ومذل الظالمين ، من تعزز بقوته نجا ، ومن تعزز بغيره ذل .

العز فى طاعة الرحمن مولانا وليس ملكًا ولا جاهًا وسلطانا

إلهى : ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ من وجدك فقد وجد كل شىء ، ومن فقدك فقد كل شىء .

يا صاحب الهم ، إن الهم منفرج أبشر بقرب فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه لا تيأسن فإن الكافى الله
إذا بليت فثق بالله وارض به إن الذى يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله فى كل لك الله

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها ونور الأبصار وضياؤها، خير من توكل على الله، وخير من عبد الله حق العبادة، فكان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه فيقال له: لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: **أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!**

فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين ، اللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود ، وقرة العيون ، ونور الأبصار ؟ وذهاب الهموم ، وغذاء الأرواح محمد ..

أما بعـد ..

فيا أيها الأخوة المسلمون أحباب محمد ﷺ .. الإنسان عنيد ، ومكابر ، ومتعالٍ .. هذا ما لا خلاف عليه ، ولذلك تجده لما وصل إلى مرحلة متقدمة من مراحل الفكر والعلم ، عندها نسى قوة الله وجاهر بالصراخ على نفسه يتباهى بحسن صنيعته ، وقوة تفكيره ، ودهاء عقله ،

وكيفية إدراكه الحقائق فى الكون ، ونسى أو تناسى أن الذى خلقه يمكنه أن يهلك الدنيا فى أقل من لمح البصر ، وأن الله لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولقد بين ذلك فى نفس الإنسان المتغطرس فهو لا يعيش طوال حياته بل يمرض ، ويصرخ ، ويتألم ، ويجرح فلا يتحمل ، ولا يقدر على حر الصيف ، ولا برد الشتاء ، فهو ضعيف كل الضعف . (ترهقه برقة ، وتنتنه عرقة ، وتميته شرقة) وكما قال العلماء أيضًا : (**فأوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو بين ذلك وذلك يحمل العذرة**) .

فإنها عقول فاسدة ، ونفوس كاسدة ، التى لا تعطى لله قدره ، وتسلك سلوك الحيوانات، تأكل وتشرب ، وتظن بمقدرتها أنها ستخرق الأرض أو ستبلغ الجبال طولا ..

عبد الله : انظر إلى فرعون وهامان ، انظر إلى النمرود ، انظر إلى الظالمين ، انظر كيف فعل الله بهم ، لقد أسكنهم دار المذلة . إن لله طريقة خاصة فى عقاب الإنسان ، فلنحذر من غضبه .. **﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾** [سورة النور: ٦٣] .

وهذه نظرة إلى الإسلام ، كيف أن المسلمين كان معهم سلاح الإيمان ، فانتصروا على كل الجبهات ، وسادوا الأمم ..

انظر عبد الله إلى أولى معارك المسلمين ...

﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال: ٧، ٨، ٩] .

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ [الأنفال: ١١، ١٢] .

يا أمة الإسلام هيا وابعثى	**ذكرى النبى وصحبه الأبرار**
من كل متقد العزيمة باسط	**كفيه نحو الموت باستكبار**
قد جاهدوا فى الله حق جهاده	**وتسابقوا للبذل والإيثار**
فتحوا من الأمصار كل محصن	**لله ما فتحوا من الأمصار**
سادوا وعزوا حين كان شعارهم	**(الله أكبر) وهو خير شعار**

أخلق بنا أن نقتفى آثارهم	**فخلودنا فى هذه الآثار**
ماض سنربطه بأعلى حاضر	**مهما بذلنا غالى الأعمار**

فلقد انتصروا لأن الله معهم ، ولو ابتعدوا عن الله ما نصرهم .. فإياك أن تبتعد عن الله ، فكيف تذل وأنت عبد الله العزيز ، وكيف تفتقر وأنت عبد الله الغنى ، وكيف تضعف وأنت عبد الله القوى ، وكيف تهلك وأنت عبد الله الملك الجبار ..

انظر أخى إلى عمرو بن ود كيف استطاع على بن أبى طالب فى صغر سنة أن يصرعه صرعًا بقوة إيمانه الصادق ، واستسلامه لله رب العالمين .

وكان ذلك أيام وقعه الخندق ، عندما برز ابن ود مزهوًا بقوته ينادى فى المسلمين هل من مبارز ؟

فهتف له أنا له يا رسول الله .. فيبتسم النبى ﷺ ثم يقول له : **اجلس إنه عمرو** ، ولكن الرجل المزهو عاد يصيح هل من مبارز ..؟

وراح يهزأ بالمسلمين : أين جنتكم التى زعمتم أنكم داخلوها ، أجبنتم ؟ أفلا يبرز لى فيكم رجل ..؟

فكان على ينهض المرة بعد الأخرى وهو يكرر فى حماس : أنا له يا رسول الله ... والنبى ﷺ يشفق عليه ويقول له : **اجلس إنه عمرو ..**

ولكن ظل يلح على النبى ﷺ حتى أذن له .. فلما تقدم نحوه عمرو سخر منه وهو يقتحمه بنظرات الاستصغار قائلا له : من أنت ؟ فيجيبه بعزة ورجولة : أنا على .

فيقول له عمرو : أنت ابن عبد مناف ؟

فيقول : على بن أبى طالب

فأقبل عليه عمرو مشفقًا وقائلا : يا ابن أخى ، من أعمامك من هو أسن منك ، وإنى أكره أن أهريق دمك ..

فقال له على : ولكننى لا أكره أن أهريق دمك .. ولكنى أذكرك يا عمرو بما ينفعك ويعصم دمك . إنك كنت تعاهد قومك ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحسنهما ، قال عمرو : أجل .

فقال على : فإنى أدعوك إلى الإسلام أو إلى النزال ..

فقال عمرو مستصغرًا لشأن على :

ولم يا ابن أخى ، فوالله ما أحب أن أقتلك ، ثم غضب وأهوى بسيفه عليه يريد أن يذهب

به بضربة واحدة ..

ولكن عليًا راوغه ، وما زال به حتى خر الرجل صريعًا تحت قدميه فكبر المسلمون تكبيرة تفيض بنشوة النصر ، ثم استقبلوا عليًا مهللين مكبرين .

عندما علمت ابنة عمرو بقتله سألت عن قاتله ، فلما علمت أنه على وجدت عزاءها فى أن الذى قتله فتى لا يشق لشجاعته غبار .

وذهبت ترثيه شعرًا فتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبدًا ما دمت فى الأبد

لكن قاتله من لا نظير له ... وكان يرعى أبوه بيضة البلد

أيها المؤمنون : هؤلاء هم الذين أطاعوا الله ، والتزموا بالإسلام ، فأعطاهم الله من فضله ، وأمدهم بقوته ونصره .

أما الذين عصوه ، واستكبروا فقد أذلهم ، وخيب مسعاهم ، فاتقوا الله عباد الله ، وأسلموا وجوهكم لرب العالمين .

يقول المولى فى الحديث القدسى :

« يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعمًا عظامًا لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك فإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق غطاءهما ، وجعلت لك لسانًا وجعلت له غلافًا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك وجعلت لك فرجًا وجعلت لك سترًا فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطى ولا تطيق انتقامى » .

وقال سبحانه :

﴿ أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ [السجدة: ١٨- ٢٠] .

وفى الحديث الشريف :

« يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة » .

أو كما قال : ادعوا الله ...

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، مذل المتكبرين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى التقى الزكى المكى القرشى الكريم ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الطيبين الطاهرين ..

وبعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون : أحباب الحبيب المصطفى محمد .

حينما يكون المسلمون متمسكين بدينهم يكون الله معهم يؤازرهم ويسدد خطاهم ، وينصرهم على أعدائهم .

ولعلكم تعلمون أن جيشًا من جيوش المسلمين تقهقر يومًا ، وكاد يُهزم من أعدائه فبحثوا أمرهم . ماذا فعلنا من المعاصى والذنوب ؟ ماذا تركنا من السنة ؟ .. وبعد بحث تبينوا أنهم نسوا السواك . فخرجوا إلى أشجار الأراك يقطعون منها ويصنعون منها السواك . فرآهم أعداؤهم ، فظنوا أنهم يفعلون ذلك ليحاربوهم بأسنانهم ..

ومن سمات أمة محمد ﷺ : أنها تنصر بالرعب ..

وانظروا معى إلى المسلمين الأوائل . كيف تمسكوا بالإسلام ، فطهر الله أبدانهم ، وصفى قلوبهم ، وأصلح لهم أسماعهم وبصائرهم .. فهم يرون بنور الله ..

انظر إلى عمر بن الخطاب حينما كان يخطب فوق المنبر ، فرآه الناس ينزل درجة ، وينادى بأعلى صوته : يا سارية الجبل الجبل ، وكان ينادى الجيوش الإسلامية هناك فى أعالى الشام ، فسمعوا نداءه . ولزموا الجبل ، وكان العدو سيأخذ أماكنهم على الجبل إن تركوه .. فرآهم عمر وهو فوق المنبر فى المدينة المنورة ، وحذرهم ، وتعمل شبكة الاتصال اللاسلكى الإلهية عملها فى نقل نبرات عمر ، فسمع الجنود المسلمون صوت عمر يناديهم وقت الجمعة ، فلزموا أماكنهم ..

ويجىء إليه يومًا رجل ليقام عليه حد السرقة ، فيقول له يا عمر : استحلفك بالله أن تسامحنى ، فإنها أول مرة ، فقال له : كذبت ، فأراد الرجل أن يُشهِّر بعمر ، فقال له يا عمر أكنت تعلم الغيب ؟، قال : لا ، ولكنى علمت أن الله لا يفضح عبده من أول مرة .

فقطعت يد الرجل ، فجرى وراءه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقال له : يا أخى ،

استحلفك بالله ، أهى أول مرة ؟ قال : والله يا ابن أخى ، الحادية والعشرون !!.

وكتب إليه عمرو بن العاص رسالة يشكو فيها أهل مصر ، فهم يعينون جماعة تبحث طوال العام عن أجمل فتاة تطأ قدماها أرض مصر ، ليقذفوها آخره فى النيل ، حتى يفيض النيل عليهم ، ولا ينقطع عنهم ، فكتب عمر بن الخطاب رسالة قال فيها : « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد :

من عمر بن الخطاب عبد الله وأمير المؤمنين إلى نيل مصر العظيم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإن كنت تجرى بأمرك أنت ، فلسنا فى حاجة إليك ، وإن كنت تجرى بأمر الله فإن الله مجريك » . وأمر الرسول أن يقذف بالرسالة فى النيل ، ويسطر التاريخ أنه ما أمسى الناس إلا واشتكوا من شدة فيضان النيل عليهم .

ويروى أن عثمان استدعى أنسًا ، ولكن أنسًا وهو فى الطريق إليه وقع نظره على امرأة فدخل على عثمان فلما انفض مجلسه ، أخذ عثمان ينظر إليه ثم يطأطىء رأسه ، وقال له : يا أنس ، أما يخشى أحدكم أن يدخل على عثمان وفى عينيه آثار الزنا ؟ قال له : يا عثمان : أوحى بعد رسول الله؟ قال : لا ولكنها فراسة المؤمن ! أما علمت أن المؤمن يرى بنور الله .

ويحكى أن الإمام الشافعى نظر إلى كعب امرأة ، فرأى أن حفظه للقرآن قد أصابه الخلل ، فشكى لأستاذه :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصى

أيها المؤمن : إذا كنت مع الله فلا تخف .. إذا كنت مع الله فلن تستطيع الدنيا أن تسلب منك شيئًا فمعك الله الذى لا يغفل ولا ينام !.

أيها المؤمنون : عودوا إلى ربكم، وأخلصوا له، وجددوا البيعة معه، تدخلوا دار السلام .

اللهم أصلح أحوالنا ، وآمن روعاتنا ، واسترنا بسترك الجميل ، ولا تفضحنا بين خلقك ، اللهم أجعل عليك اعتمادنا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

عباد الله : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ .. اذكروا الله العظيم يذكركم .. وأقم الصلاة .

* * *

٣ - عظة الموت والحساب

الحمد لله رب العالمين ، أحمدك يا الله كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فأنت الله ، فكل حى يموت وأنت حى لا تموت ، وكل شىء يتبدل وأنت لا تتبدل ، وكل أمر يتغير وأنت لا تتغير .. سبحانك ربى سبحانك ، قضيت على عبادك بالفناء ، وقضيت على نفسك بالبقاء أسألك ربى أن تجنبنا موارد الظالمين ، وأن تجعلنا يا مولاى عند سكرة الموت ، ووحشة القبر ، ووقفة الحساب من الآمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله . الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، القائل :

﴿ **كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز** ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

فهل يذل الإنسان تحت عزته ؟ وهل يفتقر إنسان تحت جاهه ؟

من يطلب الرحمن جل جلاله ... لم يخش بعد ملامة من شان
إن حدثوا عنى فإنى مغرم ... متمسك بالواحد الديان
أسمو بروحى فى حماه وأنتمى ... فالعشق تاجى واليقين عيانى

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا ومعلمنا ومرشدنا وأستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد ﷺ ، اصطفاه الله رحمة للعالمين ، وإمامًا للأنبياء والمرسلين وسيدًا للأولين والآخرين ، ومع هذه الدرجة الرفيعة والمقام المحمود والمنازل العالية أخذ ﷺ عند موته يبلل يده من رقعة بها ماء ، ويقول « **إن للموت سكرات** » فصلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه وذريته ومن اتبعهم ، واهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين .

اللهم صل وسلم على أستاذ الوجود ونور الأبصار وذهاب الهموم وغذاء الأرواح ... محمد ..

أما بعد :

فيا أيها الأخوة المسلمون أحباب الحبيب المصطفى محمد، ما مصير الإنسان ؟ سواء أكان ظالمًا أو جبارًا أو ملكًا أو وزيرًا أو فقيرًا أو عاملاً أو موظفًا ؟.. سؤال يعرفه الناس كلهم .

ويعرفون إجابته كما يعرفون أبناءهم .. ولكن واعجباه !.

أيها المؤمنون : خلق الله الإنسان ضعيفًا هزيلاً لا يقدر على الحركة ولا يقوى على الكلام ، فغرس الله فى صدر أمه حنانًا من لدنه ، فلا تنام إلا بعد أن ينام ، ولا تأكل إلا بعد أن يأكل ، ولا تشرب إلا بعد أن يشرب ، ولا يستقر لها بال إلا بعد أن تطمئن عليه .

وشب الإنسان ليخرج إلى مدار العقول ثم إلى مدار الشباب والقوة ، الشباب الذى تقوم على سواعده الحياة ، هو الذى ينتج ويبذل ويصنع ويسعى ، ويشق الصعاب فهو القوة المحركة للصناعات ، هو كنز نفيس ، بقوته ومكانته تقاس قوة الأمة ، وبفكره وبصيرته تقاس حضارة الأمة فلما رأى نفسه هكذا ، وعلم أن لنفسه قيمة فى الدنيا وأنه القوى الذى يخشى نسى قوة الله بجانب قوته ، وأعلن الحرب عليه ، وصار تبعًا لأهوائه وخاض الملذات وبَعُد عن عبادة رب الكائنات .. إلا من رحم الله .

ولكن المولى سبحانه أحب أن يلقنه درسًا لتعلمه البشرية جمعاء ، فأصبح بعد ذلك هرمًا عجوزًا أيضًا لا يقوى على الحركة وربما لا يستطيع الكلام .. ويحتاج لمساعدة الآخرين .. ولو شاء لأبقاه كما هو شابًا إلى أن يموت ، ولكنها العظة .. وفرق بين بدايته ونهايته فهو فى بدايته كما هو فى نهايته ، هنا يحتاج للناس وهناك أيضًا ، ولكنه فى بدايته يفرح به الناس يحمله هذا ويقبله هذا .. الكل فرح مسرور .. وفى نهايته يشمئز الناس منه ، ويبتعدون عنه ، ويتمنون له الموت حتى أولاده وعشيرته أحيانًا ، فهو الذى لا يُرجى نفعه .

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا — والناس حولك يضحكون سرورًا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا — فى يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

لذا يجب عليك أخى أن تستعد للرحيل قبل الرحيل ، أما علمت قول الحق سبحانه :

﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ۝ ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ۝ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ [ق: ٢١، ٢٢] .

وقد قال رسول الله ﷺ : « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت** » .

عبد الله : وها هو الرسول ﷺ يخبرك عما يحدث للإنسان فى قبره ، فيقول البراء ابن عازب (خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد . فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال : **استعيذوا بالله من عذاب القبر** مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : **إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض**

الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر .

ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول يا أيتها النفس الطيبة أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان . قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء . فإذا أخذها لم يدعها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض . قال فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : وما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به ، وصدقت ، فينادى منادٍ من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد البصر ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول له أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الدنيا وانقطاع عن الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى سخط من الله وغضب ، فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا لم يدعها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ ﷺ أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم له استعدادًا .

﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقول الله : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحًا ، ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ [الحج: ٣١]

فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسرؤك ، هذا يومك الذى كنت توعد فيقول : من أنت ، فوجهك الوجه يجىء بالشر ؟، فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة »[١] اهـ .

عبد الله .. هكذا تخرج من الدنيا كما جئت إليها ، وما عمرت فيها من صالح فلنفسك ، ومن غير ذلك فعليك .. اعلم أن كفنك هو كفن بدون (جيوب) لا تحمل فيه مالا ولا جاها ولا سلطانا ، بل تبعث بعملك ، وما قدمت فى دنياك تجده فى أخراك ، انظر إلى هذا المتعبد كيف يروى أنه ذهب يومًا إلى قبر صاحب كان يألفه فوقف عند رأسه وأنشد يقول :

مالى مررت على القبور مسلمًا   قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لا تجيب مناديًا   أمللت بعدى خلة الأصحاب ؟

قال : فهتف من جانب القبر هاتف يقول :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم   وأنا رهين جنادل وتراب ؟
أكل التراب محاسنى فنسيتكم   وحجبت عن أهلى وعن أصحابى
وتمزقت تلك الجلود صفائحا   يا طالما لبست رفيع ثياب
وتساقطت تلك الأنامل من يدى   ما كان أحسنها لخط كتابى
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا   ما كان أحسنها لرد جواب
وتساقطت تلك العيون على الثرى   يا طالما نظرت بهم أحبابى

أيها المؤمنون : توبوا إلى الله ، وجددوا البيعة معه من قبل أن يأتى يوم لا تنفع فيه الندامة ، وقد ورد فى الحديث الشريف :

« ما من يوم تطلع الشمس فيه إلا وهو ينادى : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة عن البراء بن عازب.

شهيد فاغتنمنى فإنى لن أعود إلى يوم القيامة » .

وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لا تغتر بشبابك فكم من شباب سبقك إلى الموت ، يا ابن آدم لا تفرح بدنياك فلست بمخلد ، يا ابن آدم استح منى عند معصيتك أستح منك فلا أعذبك » .

وفى الحديث : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » .

أو كما قال : « والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ... وكفى ، وسلام على الذين اصطفى .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، إمام كل رسول ونبى ، وسيد كل عالم وتقى ، نبى الهدى الذى طهر بالتوحيد قلبه ، وسيد الأنام الذى ختم به الرسالة، فاللهم صل على هذا النبى التقى البهى الوفى القرشى الزمزمى المكى الهاشمى الكريم ، وعلى آله وصحابته وأتباعه وذريته أجمعين .

يارب إن ذنوبى فى الورى عظمت   وليس لى من عمل فى الحشر ينجينى
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه   حب النبى وهذا القدر يكفينى

وبعد :

فيا أيها المسلمون أحباب محمد ﷺ : وقد لخص الله الحكمة من خلق الإنسان وموته فى قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾ [الملك: ١، ٢] .

ويجب عليك أخى أن تعلم أن زماننا هذا يضج من فعل الحرام والمنكرات وتغيرت فيه معالم الخير إلى الشر عندهم ، فسموا الأشياء بغير أسمائها فالموحد يشتم ويهان ، ولذلك فإن أفضل الطرق لتحكم نفسك عن الأشرار والشر ذكرك للموت ، وكان الصالحون يتذكرون الموت دائمًا ، فمنهم من كان يحفر بداره حفرة تشبه القبر ، وينام فيها فى اليوم عدة مرات ، ولما سئل عن ذلك أجاب : « لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لفسد». وآخر كان يكتب على جداره فوق رأسه: «تذكر الموت فإن الموت يأتى بغتة».

فذكر الموت يعرفك حقيقة الدنيا ، وحقيقة نفسك ، فيسهل لك الوصول إلى الله ، وتلاحظ ذلك من قول الرسول ﷺ : « لو علمت البهائم ما تعلمون من أمر الموت ما أكلتم

منها سمينًا أبدًا » ...

أيها المؤمنون : وماذا بعد الموت ؟

بعد الموت أخى ينفخ فى الصور فيجىء الناس جميعًا من هنا ومن هناك من أعالى الجبال ، ومن أسفل المحيطات ، ومن قيعان البحار ، ومن ذرات الرمال ، ومن شرق الأرض ومن غربها ومن شمالها ومن جنوبها ، من كل مكان ليجتمعوا فى مكان واحد ، ووقت واحد ، وتدنو الشمس من الرؤوس ليسألهم الله ربنا تبارك وتعالى سؤالًا لا يحتاج إلى إجابته : « **لمن الملك اليوم** » ؟. فلا يستطيعون أن يجيبوا بشىء ، ولا يستطيعون أن يغيروا ما فى قلوبهم كما غيروه من قبل كانوا يقولون إنه لفرعون ، وهم يعلمون أنه لله ، وكانوا يقولون لهذا الحاكم أو لذلك وهم يعلمون أنه لله[1]، ولكنهم اليوم أمام رب العالمين ، ومالك الملوك ، ومذل الجبارين ، وقاهر الظالمين ، فلا يقولون شيئًا ، فيجيب المولى سبحانه : « **لله الواحد القهار** » .

﴿ رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابًا ◦ يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ◦ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ◦ إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابًا ﴾ [النبأ: ٣٧- ٤٠] .

﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ◦ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ◦ وبرزت الجحيم لمن يرى ◦ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ◦ فإن الجحيم هى المأوى ◦ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾ [النازعات ٣٤- ٤٠].

﴿ إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدًا ◦ لقد أحصاهم وعدهم عدًا ◦ وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا ﴾ [مريم: ٩٣- ٩٥]

مثل وقوفك يوم العرض عريانًا	مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانًا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق	على العصاة ورب العرش غضبانًا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل	فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا ؟
لما قرأت ولم تنكر قراءته	إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى	وامضوا بعبد عصى للنار شيطانا

(١) وربما يتساءل البعض : أفى الوجود من وصلت به الدنيا إلى منتهى الجبن والانحطاط؟ ونسوق لهم قول ابن هانئ لحاكمه بعد أن نقول لهم : نعم :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار	فاحكم فأنت الواحد القهار

المشركون غدًا فى النار فى لهب والمؤمنون بدار الخلد سكانا

اللهم أصلح فساد قلوبنا ، وانزع الغل والحسد من صدورنا ، وأصلح ذات بيننا ، اللهم أحسن ختامنا ، وفك أسرنا ، وتول أمرنا ، اللهم إن كنت تعلم أن الحياة خير لنا فى ديننا ومعاشنا فأحينا على الإيمان ، وإن كنت تعلم أن الممات خير لنا فأمتنا على الإسلام .. اللهم أصلح حال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، اللهم حكم فينا كتابك وسنة نبيك الكريم .

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ وأقم الصلاة .

* * *

٤ - العدل والظلم

الحمد لله ...

الملك القهار ، القوى القادر ، المنتقم الجبار .. سبحانه سبحانه القائل « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى** » .. أسأله أن ينتقم من الظالمين ويدحض الفاسقين ، ويهلك الجبارين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له فى سلطانه ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، الملك ملكه ، والأمر أمره ، والحكم حكمه .

حينما طغى النمرود فى الأرض .. انتقم الله منه ، فدخلت بعوضة فى أذنه ، فكان لا يهدأ باله ، ولا يستقر حاله . إلا إذا ضرب بالنعال على أم رأسه .

الملك لله الذى عنت الوجـ ـوه له وذلت عنده الأرباب
متفرد بالملك والسلطان قد خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم فسيعلمون غدًا من الكذاب

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا رسول الله، أرسله الله رحمة للعالمين ، وحجة للمرشدين ، ومحجة للمسترشدين ، ونقمة على الكافرين ، وقاصمًا للملحدين ، وسراجًا منيرًا للناس أجمعين .. أرسله ليقيم شريعة العدل ، ويقضى على نظام الظلم .. فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، وذريته أجمعين ..

أما بعـد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ؛ حديثى إليكم اليوم فى مؤتمرنا الأسبوعى العظيم عن العدل وثماره ، والظلم وعواقبه وأبدأ حديثى بقول الحق سبحانه :

﴿ **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

العدل أيها المسلمون إذا أقيم بدولة وصل بها إلى الاستقرار الدائم ، والحياة السعيدة ، وإذا غاب عنها أظلمت طرقاتها ، وفسدت عقول رجالها فانقلب الناس إلى شياطين ، وانعدم الضمير ، وسادت الفوضى ، فخاض المجتمع وسط الأهواء خوض كلب مسعور .

العدل ميزان الحضارة والتقدم ، فالذين يرسون قواعد العدل ، ويبعدون أنجاس الظلم هم المتقدمون ، والذين يتجنبون العدل لتستفيد فئة على حساب أخرى هم المتأخرون .

ولذلك فقد أقام رسول الله ﷺ دولته على العدل من أول يوم .. وفى كتاب الله يكرر الحق سبحانه أنه لا يظلم أحدًا أبدًا ليؤكد محبته للعدل ، وبغضه للظلم :

﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون** ﴾ [النحل: ١١١] .

وفى الحديث القدسى : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا** » .

ويتجلى ذلك حينما بعث أحد الولاة إلى خليفة زمانه يستأذنه فى تحصين مدينته ، فبعث إليه « حصن مدينتك بالعدل ونق طريقها من الظلم » . وإذا تتبعت الإسلام أخى وجدته هو وليس غيره الذى يكفل للبشرية جمعاء نظامًا يحفظ عليهم حياتهم فلا يظلم إنسان ، ولا يهان إلا بحق، فتحت ظلال الإسلام يتجلى العدل فى أجمل ثيابه ، وأعلى درجاته ، وها هو الرسول ﷺ يعلمنا بنفسه أوامر الإسلام ويثبت لنا عدله فيصعد المنبر بعد أن قضى حياته مسالمًا ليقول :

« **من كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليستقد منه .. لا يقولن أحد إنى أخشى الشحناء من قبل رسول الله ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شأنى .. ألا إن أحبكم إلى من أخذ حقًا كان له أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس ، فقام رجل فقال : يارسول الله : إن لى عندك ثلاثة دراهم . قال : إنا لا نكذب أحدًا ولا نستحلفه .. فيم صارت لك عندى ؟ قال : تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتنى أن أدفعها إليه ؟. فقال : « ادفعها إليه يا فضل »** (يعنى ابن عمه العباس رضى الله عنهما) » .

وفى هذه الخطبة .. أعلن المصطفى صلوات ربى وتسليماته عليه أمام الناس كنهم مبدأ الإسلام فظهره كظهورهم وماله كأموالهم وعرضه كأعراضهم وهم جميعًا سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى فالكل سواء أمام شريعة السماء .

انظر إلى المختار قبل وفاته يرسى الأساس ليستقر بناء
ويقول من آذيتهم فليأخذوا منى حقوقهم إذا ما شاءوا
كشف الرسول لنا عن استعداده ليقاد منه إن بدا إيذاء
وهو الذى قد ظل طول حياته يؤذى ويدعو للذين أساءوا
هو رحمة للعالمين فلا أذى منه ولا عنت ولا ضراء
أعظم به مثلا يريننا أننا والمصطفى عند القضاء سواء

أعظم به مثلا يصون حقوقنا   طرًا فلا يغتالها رؤساء
هذا هو الحكم النزيه فطالبوا   بقيامه حتى يحل هناء

فانظر أخا الإسلام كيف يعطى الإسلام للناس حقوقهم ، وكيف يربى أبناءه على العدل تحقيقًا للعدالة ، وانتشارًا للخير بين الناس .

انظر إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد حينما كان يخاطب السحابة وهى فى السماء ويقول لها : أمطرى حيث شئت ، فسوف يأتينى خراجك ، وانظر إلى عمر وقد طلبت منه زوجته قطعة من الحلوى .. فبدلا من أن يعطيها ثمن قطعة الحلوى أو يشتريها لها أعطاها درسًا فى القناعة فماذا حدث ؟

جوع الخليفة والدنيا بقبضته   فى الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يبارى أبا حفص وسيرته   أو من يحاول للفاروق تشبيهًا
لما اشتهت زوجه الحلوى فقال لها   من أين لى ثمن الحلوى فأشريها
قالت لك الله إنى لست طالبة   مالا لحاجة نفس كنت أبغيها
لكن أجنب شيئًا من وظيفتنا   فى كل يوم على حال أسويها
حتى إذا بلغنا ما يكافئها   شريتها ثم إنى لا أثنيها
قال اذهبى واعلمى إن كنت جاهلة   أن القناعة تغنى نفس شاريها
فأقبلت بعد خمس وهى حاملة   دريهمات لتقضى من تشهيها
قال نبهت منى غافلا فدعى   هذى الدراهم إذ لا حق لى فيها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به   أولى فقومى لبيت المال رديها

أما يحضر عمر لدى هذا المجتمع . فيرى الاختلاسات والرشوة ، والفسق والفجور والعصيان ، ويرى العربات الفاخرة ، والقصور الشامخة على حساب شعب مسكين ، كثيرون منه لا يجدون قوت يومهم.. أما يحضر عمر ليرينا الحاكم المسلم ، والإسلام لنقارن بين وضعنا وبين الإسلام الذى أنزله الله.. فهذا هو العدل الذى أمر به الحق سبحانه وتعالى.

أيها المسلمون أحباب محمد ﷺ .. وللظالم عواقب وخيمة منها ما هو فى الدنيا ، ومنها ما هو فى الآخرة .

وإن الله يرفع دعاء المظلومين فوق الغمام .. انظر إلى قول الرسول ﷺ حينما يقول : **« اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب وإن الله يرفعها فوق الغمام ويقول لها وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »** .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا   فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

وانظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى: **﴿إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه • بئس الشراب وساءت مرتفقًا﴾** [الكهف: ٢٩].

وعلى العكس من ذلك ، فأول السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله « **إمام عادل** » . هذا هو حال الظالم والعادل يوم القيامة : **﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾** [عبس: ٣٤]. **﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾** [المطففين: ٦]. **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا ﴾** [الأنبياء: ٤٧].

أيها المؤمنون : وعاقبة الظلم فى الدنيا عاقبة سوء .. انظر أخى إلى الظالمين فى كل عصر .. وفى كل مكان .. تجدهم قد اسودت عاقبتهم . ففرعون الذى طغى وبغى على الناس لم ينفعه سلطانه ولا جاهه وقد كان يقول للناس : **﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾** [النازعات: ٣٤] . وكان يقول لهم : **﴿ أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾** [الزخرف: ٥١] . فأغرقه الله فى البحر ، فاستغاث وصرخ ، ولكن اليوم لا ينفع الذين ظلموا ملكهم ولا حاشيتهم . وقارون أخذه الله بماله : **﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾** [القصص: ٨١]. وغيره وغيره .

واسمعوا ما حدث لأحد الصيادين يومًا : إذ خرج من صبيحة يومه يطلب رزقًا حلالاً ، فرمى بشبكته فلم يخرج شيئًا ، فأخذ يبتهل إلى الله ، فأولاده يصرخون جوعًا فى بيته ، واقتربت الشمس من المغيب ، فرزقه الله سمكة ضخمة ، فأخذها مسرورًا إلى بيته وإذا بملك قد خرج للنزهة فرآه فأحضره وعلم ما معه ، فأعجبته السمكة .. فأخذها عنوة ، وذهب إلى قصره ، فأراد أن يدخل مسرورًا على الملكة ، فأخرج السمكة أمامها فاستدارت السمكة وعضت أصبعه ، فلم يسترح ليلته ولم ينم ، فأحضر الأطباء فأشاروا بقطع أصبعه ، ولكنه لم يسترح بعدها لأن السم كان قد تسرب إلى يده ، فأشاروا بقطع يده ، ولكنه أيضًا لم يسترح بل أخذ يصرخ ويستغيث ، فأشاروا بقطع ذراعه ، فاستراح من الآلام الجسدية ، ولم تهدأ نفسه ، فعلم الأمر فأشاروا عليه أن يذهب إلى طبيب من أطباء القلوب فذهب وأخبره قصة السمكة ، فقال له لن تهدأ إلا إذا عفا عنك الصياد ، فبحث عنه حتى وجده ، وشكى إليه أمره ، واستحلفه أن يصفح عنه فعفا عنه وصفح ، فقال له الملك ماذا قلت فىَّ ؟ فقال والله ما قلت سوى كلمة واحدة : « اللهم إنه أظهر على قوته ، فأرنى فيه قدرتك » .

ولعلكم تعلمون عباد الله أن ملكًا ذهب بجنده حول قصره فرأى على مقربة منه كوخًا ، فقال لمن هذا الكوخ ؟ قالوا : لعجوز . فأمر الجند أن يهدموا الكوخ ، وكانت العجوز قد خرجت من صبيحة يومها تبحث عن رزقها .. فلما جاءت إلى كوخها آخر النهار لم تجده إلا

كومة من تراب فوقفت تنادى ربها : « **إلهى كنت غائبة أبحث عن رزقى كما أمرتنى ، فأين كنت أنت ؟** » فأمر الله جبريل أن اهدم القصر على من فيه ..

هكذا أيها المؤمنون ينتقم الله من الظالمين ويخيب مسعاهم ليعلمنا أن العدل هو أساس الحضارة ، وأنه مطلع على عباده ، يعين العادل .. وينتقم من الظالمين .

فلنتب إلى الله عباد الله ، ولنعاهد أنفسنا أن نعين كل عادل ، وأن نحارب كل ظالم .. لنطهر أنفسنا من نجس الظلم ، كما نعاهده أن نسير على طريق العدل .

ولقد قال رسول الله ﷺ : « **أيها الناس : توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا** » .

أو كما قال رسول الله ﷺ .. ادعوا الله .

الخطبـة الثانيـة :

الحمد لله رب العالمين، خالق الناس أجمعين، له الأمر كله، وله الحكم كله، وإليه المصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له القاهر فوق عباده، الحكم العدل اللطيف.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا محمدًا رسول الله ، صلوات ربى وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وذريته وأزواجه وآل بيته أجمعين .

أمـا بعـد :

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب محمد ﷺ : من أكبر عواقب الظلم أن الظالم لا تستقر عنده الحالة النفسية ، فيكون فى صراع دائم مع نفسه ، ومع الناس ومع أهله ، والذين ينتشلون أنفسهم من طرق الظلم ، يعيشون فى رغد من العيش ، هادئو الضمير ، مستقرو الأعصاب .

انظر إلى قول الحق سبحانه : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم * ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم** ﴾ [محمد: ١] .

فمن الإيمان بالله ورسوله تنفيذ ما جاء به الإسلام وهو البعد عن الظلم .. ويظن بعض الناس أن مقصدنا وحديثنا ينصرف إلى ظلم الحاكم للناس أو الغنى للفقير أو القوى للضعيف لكن للظلم أنواعًا كثيرة . فمن الظلم ظلمك لنفسك ، وتركها تندفع تبعًا لأهوائها والشيطان ،

وسيرها فى طريق يخالف طريق الرحمن ، أو اكتسابها سوء الخلق ، أو سيرها فى بدعة وبعدها عن السنة ، فكل ذلك يعرضك لعقاب رب العالمين ، ولهذا تكون ظالمًا لنفسك إذ يجب عليك أن تقومها ، وتلزمها طاعة ربها .

ومن الظلم ظلمك لأولادك بأن تفضل أحدًا منهم على الآخرين ، فتتولاه بالرعاية ، وتخصه بالعناية ، فيحقد عليه الآخرون ، وينشأون على بغضه فتقطع بهذا أواصر الأخوة بينهم بسوء معاملتك ولو بدون قصد ، فاحذر حتى تنجو من غضب الله .

ومن الظلم ظلمك لأخيك المسلم بألا تقف بجواره وقت المحن أو ظلمك للمسلمين بألا تساعدهم ، فالذين يتخاذلون عن الدفاع عن المسلمين ظالمون ، وسيحاسبون أمام الله رب العالمين ، إذ يجب على المسلمين أن يشدوا أزر بعضهم حتى تقوى شوكتهم وينأى عدوهم عنهم لأنه يخشى عاقبة أمره .

ومن الظلم أن تهجم على أئمة الإسلام بغير علم ، فلكل عالم هفوة ، والكمال لله وحده ، وهؤلاء الأئمة كم لاقوا من التعب والنصب فى سبيل ما حققوه من إنجازات فلا يجب على المسلمين أن يرفضوا هذا ويسبوا ذلك ، بل يأخذوا منهم الصحيح وهو الكثير فى الغالب ويتركوا الضعيف .. وهذه آفة حديثة يجب التنبه لها .

أيها الظالم ...

انظر إلى الظالمين قبلك .. ماذا أخذوا منها؟، وبماذا خرجوا منها؟ ، إنهم لم يخرجوا إلا كما جاءوا إليها .. وما عمروا فيها لم يكن إلا كلمح البصر، وقد ظلوا يظلمون ويرتعون، حتى جاءتهم سكرة الموت، فتركوا كل ما جمعوه، أما تعلم قول القائل:

تالله لو عاش الفتى فى دهره ... ألفًا من الأعوام مالك أمره
لا يعتريه السقم فيها مرة ... كلا ولا ترد الهموم ببابه
متلذذًا فيها بكل نعيمه ... متنعمًا فيها بنعمى عصره
ما كان ذلك كله فى أن يفى ... بمبيت أول ليلة فى قبره

أيها الظالم ...

قارن بين قوتك وقوة الله ، واعلم أنك الضعيف الذى ترهقه برقة ، وتميته شرقة ، وتنتنه عرقة .. انظر إلى حالك حينما تصاب بالمرض أو انظر إلى شيخوختك .. بل انظر كيف يكون حالك فى قبرك .

أيها الظالم ...

إن الدنيا تتزين لك فاحذرها ، وإن الشيطان هو الناصب لك هذه الشراك ، فحينما تكون ظالمًا فقد وقعت فى الفخ . فهم يريدون لك الهلاك والله يريد لك الجنة : ﴿ **أولئك يدعون إلى النار ۝ والله يدعو إلى الجنة** ﴾ [البقرة: ٢٢١] .

أيها الظالم ...

ماذا تقول حينما تقف أمام أحكم الحاكمين حينما يعدد عليك أفعالك ويذكرك أعمالك .

أيها الظالم ...

تراجع وإلا ستنال عقابًا ، والعقاب من الذى لا يغفل ولا ينام ، فتب إلى الله ، واسكن إلى الصلاة والذكر والدعاء ، وعاهد الله أن تكون عادلا ابتغاء لوجهه تفز فى الدنيا وفى الآخرة .

وإذا غلبتك الأهواء فسينطبق عليك قول الحق سبحانه :

﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه** ﴾ [الفرقان: ٢٧] . ولن ينفعك مالك ولا جاهك : ﴿ **فأما من أوتى كتابة بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ۝ إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ۝ فهو فى عيشة راضية ۝ فى جنة عالية ۝ قطوفها دانية ۝ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ۝ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابيه ۝ ياليتها كانت القاضية ۝ ما أغنى عنى ماليه ۝ هلك عنى سلطانيه ۝ خذوه فغلوه ۝ ثم الجحيم صلوه ۝ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه ۝ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ۝ ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ۝ ولا طعام إلا من غسلين ۝ لا يأكله إلا الخاطئون** ﴾ [الحاقة: ١٩- ٣٧] .

اللهم أصلح فساد قلوبنا . وانزع الغل والحسد من صدورنا وأصلح ذات بيننا ، اللهم وفق حكام المسلمين لإقامة حدود الدين وللحكم بكتابك وسنة نبيك الكريم . اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك قريب مجيب الدعوات ..

عباد الله .. ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ .. وأقم الصلاة .

* * *

٥ - المسلمون بين الواقع والحقيقة

الحمد لله ... كما ينبغى لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، الحمد لله الذى أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، وقال : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ [المنافقون: ٨].

يا الله : اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

وأشهد أن لا إله إلا الله .. القوى القادر .. سبحانه ، جعل الإسلام خاتمة الأديان ، ورسوله ﷺ خاتم الرسل وهو القائل : « **إن الدين عند الله الإسلام** » [آل عمران: ١٩] .

سبحانك ربى سبحانك .. يتغير الزمان ولا تتغير ، تتبدل الأحوال ولا تتبدل ، لذا فمن يلجأ لغيرك يذل ، ومن يرجو غير رضاك يضعف .

توكل على الرحمن فى الأمر كله ... ولا ترغبن بالعجز يومًا عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزى إليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته ولكن كل شىء له سبب

وأشهد أن سيدنا وحبينا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد . النبى الأمى الذى علم المتعلمين ، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين ، والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط ومعترك الأمواج إلى شاطىء الله رب العالمين ..

أما بعـد :

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد . الإسلام قوة ، والمسلمون قوة يُفَلُّ الحديد ولا تُفَل ، تهتز الجبال ولا تهتز ، تضطرب الدنيا ولا تضطرب .. هذه حقيقة تعلمتها الإنسانية ، وسطرها المؤرخون ، وتحدث بها المتحدثون ، ونقلها لنا التاريخ فلا شك فى ذلك .

انظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ۝ ومنهم من ينتظر ۝ وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ۝ ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورًا رحيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤] .

وهؤلاء هم أهل الإسلام من الأنصار الذين كان وفاؤهم وقيادتهم مضرب الأمثال ، وكان صبرهم عنوانًا لأخلاق الرجال ، وكان فداؤهم فى سبيل دينهم مقياسًا لبطولة الأبطال . ثم انظر هناك إلى الجاهلية تجد العجب العجاب .. يئدون بناتهم مخافة الفاقة والعار ، تنشب

الحروب بينهم لأتفه الأسباب ، لم يكن لهم جيش يحمى حدودهم وبيوتهم ، ولم تكن لهم حكومة تقوم على مصالحهم وتنمى ثرواتهم ، وتغرس مبادىء الخير فيهم .. بل كان الفرس يحتلون جزءًا من أرضهم .. حفاة عراة ، يرعون الإبل ... ويخضعون لأوهام وظنون .. وللأصنام يسجدون .. وبتقاليد آبائهم يتمسكون .

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [البقرة: ١٧٠] .

فأذن الله للدنيا أن تتفتح أمام شمس الهدى ، ومصابيح الإيمان وأن ينكشف ما ران على قلبها من ضلالات وخرافات وخزعبلات ومنكرات .. وأن ترى نور الحق .. وتسير كما أراد الله .. لا تضل .. ولا تذل .. فكان مولد سيد الخلق محمد ﷺ .. فجاءت شريعته بكل الخير تجمع ما فى الشرائع السابقة وتزيد عليها ، وتعطى كل العصور على اختلاف عقولهم ، ومقدرتهم العقلية ، وقواهم وحالتهم .. ووصولهم إلى حقائق العلم .. كالمحيط إذا رأيته فى أى وقت رأيته كما هو ولو أخذ منه الناس جميعًا . فلقد أصلحت حالهم وأعادت إليهم الحياة ، واستردت لهم كرامتهم ، وقامت لهم حكومة ترعى مصالحهم وتقيم أودهم ، وضمتهم تحت لا إله إلا الله محمد رسول الله وخرجت بعقولهم إلى مدار التفكر والتأمل واتباع الحق ، فعلمتهم أن البنين والبنات إنما هما من خلق الله ... ولا ينبغى الاعتراض على أمره . **﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء * يهب لمن يشاء إناثًا * ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا ﴾** [الشورى: ٥٠] . حتى أصبحوا رجالاً فضلاء ، انظر إلى حياتهم تصل إلى عميق إيمانهم وقوة تمسكهم بالإسلام ، وصدقهم مع الله الملك العلام . ففى معركة القادسية تجد العجب العجاب : فى حرب المسلمين مع فارس تقدمت فرقة من المسلمين قليلة العدد والعتاد فلما وصلوا طلب كسرى منهم وفدًا للمفاوضة ، فأرسل إليه سعد ابن أبى وقاص وفدًا . فماذا جرى ؟، أقام الفرس بوابة صغيرة على باب كسرى حتى ينحنى الوفد الإسلامى وهو داخل عليه لأنهم يعلمون أن المسلمين أعزة لا ينحنون لغير الله ، ولا يركعون إلا لله ، ورأى المسلمون هذا ، وتنبهوا للمكيدة بفراستهم ، ولا عجب ، فالرسول ﷺ يقول : « اتقوا فراسة المؤمن » . فدخل الوفد على كسرى لا بوجهه بل بظهره حتى لا ينحنى له ، وتنبه كسرى لهؤلاء ، وعرف أنهم أذكياء أقوياء ، وأنهم دخلوا عليه بظهورهم غير خائفين ولا وجلين لأنهم احترموا أنفسهم ، فالإيمان أنار بصائرهم وزادهم قوة على قوة فماذا جرى ؟

قال لهم كسرى : أنتم أيها العرب كنا نحتل جزءًا من أرضكم فلما غفلنا عنكم تجرأتم

علينا ، من أجل أى شىء جئتم ؟، فأخذوا يعرضون عليه الإسلام عرضًا طيبًا ، وانتظروا أن يتجاوب الرجل معهم لكنه أصر على كفره إصرارًا ، واستكبر استكبارًا وطلب من حاجبه أن يأتى بوقر (زكيبة) من تراب ويضعها على ظهر أعظمهم فقال أقلهم شأنًا أنا أعظمهم ليحمل التراب على ظهره ، وليدفع العار عن كبير الوفد .

وعادوا إلى سعد فلما دخلوا عليه قال : ماذا صنعتم ؟ قالوا هزىء بنا الرجل وسخر منا وأمر بأن يوضع التراب على ظهر أعظمنا كما ترى . عندئذ صاح سعد صيحة ارتج لها الجيش ، صاح الضابط الذى تخرج فى الكلية الحربية المحمدية ، وحول هذا الموقف من ضعف إلى قوة .. صاح قائلاً : « الله أكبر ... الله أكبر جاءت البشرى بانتصار المسلمين على الفرس وهذه تربة أرضهم قد سلموها لنا بأيديهم » .

وتفاءل المسلمون وقويت روحهم المعنوية ، وانتصروا فى المعارك حربًا بعد حرب ، واضطر كسرى وجنوده إلى أن يفروا من الضفة الغربية إلى ضفتهم .

ونظر المسلمون إليهم ، وصمموا على أن يتعقبوهم ، ولكنهم لم يجدوا سفنًا ولا بواخر حربية ، فأمرهم سعد بن أبى وقاص بأن يركبوا الخيل ويعبروا البحر ، متوكلين على الله ، واستجاب له المسلمون وهم يقولون : « اللهم إنك سخرت البحر لموسى ، فسخره لنا نحن أتباع محمد . ونظر إليهم سلمان فقال : والله لتخرجن سالمين كما دخلتموه سالمين ما لم يكن فيكم ظلم ولا بغى » .

ويأتى أحدهم فيجد إناءه قد سقط فينحنى عليه ليأخذه ، ويسرع إليه زميله ليعدله خشية أن يغرق ، فيعتدل وقد استعاد الإناء ، ويخرجون جميعًا سالمين فيخر سلمان ساجدًا لله ثم يرفع رأسه وهو يقول : « الحمد لله ، لقد أقسمت بالله أن يخرجوا سالمين كما دخلوا ، وأبر الله قسمى : ربنا ولك الحمد » .

وشاهد أعداء الإسلام هذا فامتلأت قلوبهم رعبًا ، وقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء فهم إما جن أو مجانين . وتعقبهم المسلمون ، حتى تم لهم النصر ، وكان انتصارهم حقيقيًا وليس مزيفًا .. بعد هذا دخل سعد قصر كسرى ، وسجد لله شاكرًا نعمه، ثم رفع رأسه وهو يتلو قوله تعالى : **﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قومًا آخرين ﴾** [الدخان: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨] .

انظر إلى هؤلاء الجنود الذين خرجتهم المدرسة المحمدية ماذا صنعوا بعد النصر ؟ لقد أخذوا يحصون الغنائم ويجمعونها فجاء رجل بـ (علبة) فسأله سعد : هل فتحتها ؟ قال لا . وما رآنى أحد وأنا التقطها ، ولو شئت أن أخفيها لأخفيتها ، ففتحها سعد بمحضر من الجنود

فرآها مليئة بالجواهر مرصوصة رصًا دقيقًا يدل على أنها لم تمسها يد ، فقال سعد : دلني على اسمك لأكتب إلى عمر ليكافئك قال : والله ما أتيت بها ليكافئني عمر ، ولكن أتيت بها ليكافئني رب عمر . أرسل سعد هذا كله إلى أمير المؤمنين ، فلما رأى عمر كثرة الغنائم ولاحظ نفائسها قال : إن قومًا أدوا هذا لذوو أمانة فقال له على كرم الله وجهه : **« يا أمير المؤمنين عففت فعفوا ، ولو رقعت لرقعوا »**.

لقد خرجت الكلية المحمدية الأبطال العظماء .. انظر إلى الصدّيق حينما ولي أمر المسلمين صعد المنبر وقال : **« أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم .. فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، فالضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »** .

وانظر إلى عمر بن الخطاب كيف يرسل إليه عمرو بن العاص يخبره بعجزه عن إقناع أهل مصر فهم يجدون طوال عامهم فى البحث عن أجمل فتاة تطأ قدمها أرض مصر ، ليقذفوها آخر العام فى النيل حتى يفيض عليهم ، ولا ينقطع عنهم ، فكتب عمر رسالة قال فيها : **« بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .. وبعد :**

من عمر بن الخطاب ، عبد الله وأمير المؤمنين إلى نيل مصر العظيم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإن كنت تجرى بأمرك أنت فلسنا فى حاجة إليك ، وإن كنت تجرى بأمر الله فإن الله مجريك » .

وأمر الرسول أن يقذف بالرسالة فى النيل ، فما أمسى الناس إلا واشتكوا من شدة سيول النيل عليهم . وانظر إلى المسلمين الأول ، وإلى الصادقين فى إيمانهم تراهم قد بلغوا من الثقة بالله أعلى الدرجات لذلك كان الله ناصرهم ومؤيدهم .

ألم تعلم أن ابن الهيثم وابن سينا وابن خلدون كلهم علماء مسلمون ، ومازالت كتبهم تدرس إلى الآن فى جامعات أوروبا . إن أوروبا قد أقامت حضارتها على أساس علمى إسلامى ، فأساسها من جهد علماء المسلمين ، ولولا هؤلاء العلماء ما وصلت إلى ما هى فيه ، فالفضل لعلماء المسلمين الذين كانوا يبحثون فى علوم الكون ، ويتمسكون بالإسلام ، فيبصرهم الله ، ويفتح أمامهم المغالق ، ويبين لهم الخير ويسهل لهم الصعاب . بخلاف حالنا الذى ساده الفوضى وبؤنا بغضب من الله ، فأصبحنا تائهين متأخرين .

يا ويح قومى سخر المولى لهم ... ما فى الورى لكنهم جهلاء
أسلافنا فهموا الكتاب فدققوا ... فى الكون حتى برز العلماء
فى الطب فى الأفلاك فى الجغرافيا ... فى الكيمياء فطاحل بلغاء

تركوا لنا فى كل فن ثروة ... من كدها وأضاعها الأبناء
جدوا المسير وقد توقف سيرنا ... هل يرتجى للخاملين ثراء؟
ذهبوا بعلم ثم بؤنا بعدهم ... بالجهل وهو معرة وشقاء
الغرب سار بضوئنا حتى أتى ... بعجائب دهشت لها الحكماء
فخذوا من الغرب الجديد ولا تنوا ... فالكون يدرك سره الخبراء
لا بأس بالتقليد فى علم وفى ... فن يجد لنيله العظماء
أما المراقص والمهازل فهى لا ... تجدى وليس بها يقوم بناء

فللمؤمنين صفات معروفة تميزهم عن سائر البشر ذكرها الله فى كتابه فقال : **﴿ قد أفلح المؤمنون ۝ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ۝ والذين هم عن اللغو معرضون ۝ والذين هم للزكاة فاعلون ۝ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾** [المؤمنون: ١- ٥] .

وقد قال رسول الله ﷺ : **« جاهدوا فى سبيل الله ، فإن الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم »** .

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .. ادعوا الله .

الخطبة الثانيـة :

الحمد لله ... الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأشهد أن لا إله إلا الله... معز الإسلام والمسلمين، ومذل الشرك والمشركين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أشهد أنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منيب سالك ، فصلى الله وسلم وبارك على هذا النبى النقى البهى القرشى الزمزمى المكى الكريم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعـد :

يقول الحق سبحانه فى سورة الصف : **﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾** [التوبة: ٣٣] .

فبين مكانة الإسلام ، وإعزازه لدينه ، وفضله على المؤمنين ، ولكنه يعلم أن من المسلمين من تفتنهم الدنيا بزهرتها ونضارتها ، وتخرجهم عن طريق رب العالمين ، فوضح وبين ، وأعذر وأنذر ، ورغب ورهب وحذر ، فقال بعدها :

﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ۝ تؤمنون بالله

ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ۝ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۝ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

ومن خلال الكتاب المحكم يبين الله طريق الفلاح ، وطريق الفساد حتى لا يكون للناس حجة فيقول المولى سبحانه : ﴿ قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ۝ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران: ١٣، ١٤].

ثم يقول : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد ﴾ [آل عمران: ١٥].

أيها المسلمون : فالمسلمون أعزة ما تمسكوا بهدى الله وهدى رسوله ﷺ .. وعندئذ لا يستطيع عدو أن ينال منهم أو يقف أمامهم . « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتى » .

والمسلمون ضعفاء كل الضعف ما ابتعدوا عن هذين النورين وخاضوا وسط الملذات واتبعوا الأهواء وركنوا إلى الظالمين . ولقد حذرهم المولى سبحانه من ذلك فقال : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ [هود: ١٣] . أما آن للمسلمين أن يعودوا لدينهم ولشريعتهم لنخرج من هذه الظلمات التى بدا أننا ألفناها بل عشقناها ، ونبذنا نور الإسلام وشريعته الوضاءة ! ومنهاجه الحكيم !

إن الله وعد المسلمين وعدًا لو أنهم أخلصوا معه وجددوا البيعة وساروا على الطريقة : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ۝ وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا ﴾ [النور: ٥٥].

فيارب الأرباب يا مسخر السحاب نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار .

رضاك يارب بالدنيا وما فيها — يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للروح آمال تحققها — سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى — أشهى إلى من الدنيا وما فيها

اللهم أصلح فساد قلوبنا ، وانزع الغل والحسد من صدورنا ، اللهم استرنا بسترك الجميل ولا تفضحنا بين خلقك ، اللهم اجعلنا تائبين إليك منيبين إليك يارب العالمين ، اللهم وفقنا لطاعتك وللبعد عن معصيتك إنك قريب مجيب الدعاء مولانا رب العالمين . ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ . اذكروا الله العظيم يذكركم .. وأقم الصلاة ..

* * *

٦ - الإسلام خاتم الأديان

الحمد لله رب العالمين ... أظهر الإسلام على كل دين فقال : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾[آل عمران: ١٩] وختم برسالته الرسالات ، وبكتابه الكتب ، وبرسوله الرسل ، فالحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ... وحده لا شريك له ، العزيز الذى لا يغلب ولا يذل ، والدائم فكل ما سواه زائل مضمحل ، يقبل التائبين ويقصم ظهور الجبارين ويهلك الظالمين ، ويغيث الملهوفين سبحانه رب العالمين .

يا واحدًا فى ملكه أنت الأحد ⠀⠀ ولقد علمت بأنك الفرد الصمد
لا أنت مولود ولست بوالد ⠀⠀ كلا ولا لك فى الورى كفوًا أحد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقائدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد . طب القلوب ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها ، ونور الأبصار وضياؤها . سيدى رسول الله ، صلى الله عليك :

كل القلوب إلى الحبيب تميل ⠀⠀ ومعى بهذا شاهد ودليل
أما الدليل إذا ذكرت محمدًا ⠀⠀ صارت عيون العارفين تسيل
هذا رسول الله هذا المصطفى ⠀⠀ هذا لكل العالمين رسول
يا سيد الكونين يا علم الهدى ⠀⠀ هذا المتيم فى حماك نزيل

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد : بعث الله الأنبياء بالكتب والرسالات ، وأيدهم بالمعجزات ، وجعل كل نبى لأمة معينة ، ولزمن معين ، لأن شريعته تتناسب مع عقول البشر آنذاك ، ولما كان العقل البشرى فى تطور مطرد ، ونمو متزايد ، وحياته فى اتساع واختلاف وبناء وتشييد فوجب تغيير الشريعة لتتناسب مع العقول الجديدة ، والعالم الجديد ، ولكن لابد أن يصل حالة النضج كما يصل الطالب فى دراسته من الابتدائية حتى الدراسات العليا ، فيصل بعدها إلى النضج الذى بعده يكون فى حالة طيبة ، وحالة النضج فى الدنيا كانت رسالة سيد الخلق محمد ﷺ . فجمعت تحت حكمها كل الشرائع ، وزادت عليها ، فهى شريعة واضحة كاملة سهلة تعطى للأمم فى كل عصر وكل مكان ولا تنفد .

سيدى رسول الله :

الحق أنت وأنت إشراق الهدى ⠀⠀ ولك الكتاب الخالد الصفحات

من يقصد الدنيا بغيرك يلقها ⠀⠀ تيهًا من الأهوال والظلمات
لما أراد الله جل جلاله ⠀⠀ أن ينقذ الدنيا من العثرات
أهداك ربك للورى يا سيدى ⠀⠀ فيضًا من الأنوار والرحمات
يا صاحب الخلق الكبير عرفته ⠀⠀ بالحق والأنوار والصلوات
فطلعت فى الليل البهيم مؤذنًا ⠀⠀ وبسطته فى حكمة وأناة
وصبرت ثم هجرت ثم ضربت ⠀⠀ فى أعناقهم فى عزة وثبات
وضربته مثلا لكل مكابر ⠀⠀ لا يستوى حق بغير حماة

ومن مزايا الإسلام أنه دين التوحيد ، فعندما جاء الإسلام لم يكن على الأرض قوم يعبدون الله مخلصين له الدين .

فالعرب كانوا يعبدون الأصنام ، ويتخذونها زلفى إلى الله : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ [يونس: ١٨] .

مع علمهم لحقيقة الحق ، ولكنها المغالطة والمكابرة ، والتعصب الأعمى .

﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ [لقمان: ٢٥] .

﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أوَلَو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٠] .

واليهود والنصارى يقدمون الأحبار والرهبان ، ويتخذونهم أربابًا من دون الله :

﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله** ﴾ [التوبة: ٣١] .

﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله** ﴾ [التوبة: ٣٠] .

والفرس كانوا يعبدون النار ، والهنود كانوا يعبدون البقر والأنهار ، وهكذا كان كل الناس لا يخلصون العبادة لله الواحد القهار ، فلما أشرق نور الإسلام بدد ظلام الوثنية ، ونسخ ليل الشرك بالحجج الكونية ، والآيات العلمية ، ومحا من جزيرة العرب عبادة غير الله ولفت أنظار العالم إلى ما هم فيه من عقائد فاسدة ، وديانات باطلة ، يأباها العقل ، ولا يقبلها الفكر ، فعدل أكثر الناس عن تلك الأباطيل ، ودخلوا دين الإسلام راضين مختارين ، لأنه دين التوحيد وإن شئت فاقرأ دستوره الكتاب المحكم ، فلا تكاد سورة تخلو من برهان على وحدانيته .

﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار . والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح**

والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

ولأنه دين التوحيد فقد نهى عن كل ما يشعر بالشرك من تقديس لغير الله.

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله ﴾ [آل عمران: ٦٤].

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ...

ومن مزايا الإسلام أنه جاء للناس كافة.

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

ويدعو الناس جميعًا إلى طريق مستقيم، فلما جاء الإسلام كانت الديانات مختلفة والعقائد متباينة، والناس فى نزاع وخصام.

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شىء، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ﴾ [البقرة: ١١٣].

ولكن الإسلام دعاهم وبين لهم بالعقل والمنطق، والحجة والإقناع حقيقة الإسلام فقال:

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأعطى الإسلام كل نبى حقه من التعظيم والتقدير، وعرف الناس عنهم ما لم يكونوا عارفيه من قبل، وذكر قصص كل نبى مع أمته، وقال للناس جميعًا.

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [الشورى: ١٣].

أيها المؤمنون:

ومن مزايا الإسلام أنه دين العقل والفطرة، فهو الموافق للناس فى كل زمان ومكان، لا إكراه فيه على الاعتقاد، ولا قسر، ولا حجر على حرية التفكير ولا قهر. **﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾** [البقرة: ٢٥٦].

فلا يأمر إلا بما يوافق العقل السليم، ولا ينهى إلا عما تأباه كرائم النفوس، وأطهر القلوب، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يأمر بالعدل، وينهى عن الظلم، يأمر بالتوحيد، ويعاقب على الشرك. ولقد دعا إلى التدبر والبحث والتفكر والنظر، وذم الخضوع للأحبار والرهبان، ورؤساء الأديان، ومدح أتباع المنطق المعقول، والدليل المقبول، وأقام البرهان إذا

أمر، وبين الحجة إذا دعا، وأظهر الدليل إذا نهى، فحرر الناس من أسر التقاليد الباطلة، وأطلقهم من ظلمة المعتقدات الفاسدة، وأدخلهم فى حظيرته المعقولة، وظلاله الوارفة، لاقتناعهم بصوابه، وتشبعهم بصدقه، ولا يزال كثير من كبار العقلاء يدخلون فى الإسلام طوعًا واختيارًا بدراستهم له، ووقوفهم على أسراره، وليس له الآن قوة مادية ولا مالية كغيره من الأديان، وليس لدعاته نفوذ وسلطان. إنما نفوذه سلامته وسلطانه سماحته وقوته، وموافقته للعقول الراجحة والأفكار السليمة.

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا ﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فالحمد لله على نعمة الإسلام.

أيها الأخوة المسلمون: ومن مزايا الإسلام أنه دين العدل والمساواة، فقد جاء فرأى جورًا وظلمًا، وقهرًا وقسرًا، والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم، ويستبد حاكمهم بمحكومهم، فدعا دعوة الحق، وصرخ صرخة القوى، ونادى نداء المساواة، وجاهر بوجوب الإخاء، وطالب بالإنصاف، وأنه ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، وليس لأحد على الآخر سلطان إلا بالحق. وآخى بين المسلمين جميعًا فى الوقوف بين يدى الله فى الصلاة، والحج، وأيام الجمع، والأعياد، وجعل لمخالفيه من اليهود والنصارى حقوقًا مرعيّة، وواجبات مقضية حتى أحبوه، ودخلوا فيه مختارين فقال: **﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ﴾** [المائدة: ٨].

وقال: **﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾** [الممتحنة: ٨].

﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [البقرة: ١٩٠].

أيها المسلمون: لهذه المزايا والخلال اعتنق الناس الإسلام، ودانوا للإسلام، فانتشر الأمن والأمان، والعدل والإحسان فى البلاد التى أظلتها راية الإسلام، وعاش أهلها فى سعادة واطمئنان فى عصور ظهوره، وعهود سلطانه يوم كان المسلمون يعملون بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ. ويثبت التاريخ، ويسطر المؤرخون. أن الإسلام دخل بمبادئه القويمة فى كثير من الممالك فعمرها، ومن قيود الذل والاستعباد حررها. وفى أوربا، وفى آسيا، وفى إفريقيا، وفى بلاد الإفرنج، حتى فى بلاد الشيوعية هناك مسلمون يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

ومن العجيب كل العجب أن غير المسلمين عرفوا سر تقدم المسلمين الأُول فشرعوا يعملون بمبادىء الإسلام. فأصبحوا ناجحين، وخيب الله المغرضين:

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم ﴾ [آل عمران : ١٠١] .

أما آن للمسلمين أن يرجعوا إلى قرآنهم ، وإلى سنة رسولهم ، حتى يكشف الله عنهم الغموم ، ويذهب الهموم ، ويصلح أحوالهم ؟ أما آن لهم أن يستقيموا على شرع الله ، فينهجوا نهجه ، فينفذوا أوامره ، ويبتعدوا عن نواهيه ، ويجدُّوا فى الدفاع عنه ، فيدفعوا عنه عدوان العادين ، وافتراءات الظالمين ، وسموم المارقين عن طريق رب العالمين ؟ توبوا إلى الله ، عل الله يتقبل منا ، ويصلح حالنا ، يقول رسول الله ﷺ : وقد سئل : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : **« الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا ، اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة »** . فاخضع لأمر الله ، واستح منه عند معصيتك كما قال القائل :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

فتذكر معاصيك أمامك وتب إلى الله . **« والتائب من الذنب كمن لا ذنب له »** .

ادعوا الله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا محمدًا رسول الله . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

فلو اتصل الإنسان بربه لاندفع إلى الفهم الحقيقى للإسلام ، وللعلم منزلة كبرى فى الشرع الإسلامى ، فالذى يعلم الإسلام يعلمه بشموله وعمومه ، ويعلم أعداءه منه ومن الملل الأخرى ، ويعلم الذين يتربصون به الدوائر . ولكننا غفلنا عن الاتصال بالله ، فبعدنا عن الإسلام فحاق بنا سوء العذاب .

أيها المسلم .. ومن مزايا الإسلام أيضًا أنه دين الطهارة والنظافة .

﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبًا فاطهروا ﴾ [المائدة: ٦] .

وهو دين العفة . ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتى يغنيهم الله من

فضله ﴾ [النور: ٣٣] . ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ [النور: ٣٣] .

بل حذر من البغاء بصورة زاجرة وعده من أكبر الكبائر : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ۞ الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور: ٢، ٣] .

ولله در من قال :

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم   وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دَيْنٌ فإن أقرضته   كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
من يزن يزن ولو بجداره   إن كنت يا هذا لبيبًا فاعلم
من يزن بامرأة بألف درهم   فى بيته يزنى بغير الدرهم
ياهاتكًا حرم الرجال وقاطعًا   سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرًا من سلالة طاهر   ما كنت هتاكًا لحرمة مسلم

ومن مزايا الإسلام أنه يمقت كل سيئة ، وقبيحة ، كشرب الخمر والسرقة ولعب الميسر والغش والجبن والبخل ، وكل نقيصة مما نهى عنه كتاب الله وسنة رسوله . وهو يقرر القصاص والعقوبة لكل ذنب : ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ﴾ [المائدة: ٤٥] . وهو دين يكرم العاملين المنتجين ويبغض الكسالى المتقاعدين ، فيدعو إلى الجد فى العمل ، والإخلاص فيه ، وكسب العيش ، والاستغناء عن الناس . ﴿ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ [الجمعة: ١٠] .

﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [الملك: ١٥] .

ولله در من قال :

لحمل الصخر من قمم الجبال   أحب إلىَّ من منن الرجال

ومن مزايا الإسلام أنه دين الشجاعة ، والإقدام ، والعزة ، والجهاد ، والتضحية .

﴿ انفروا خفافًا وثقالاً ۞ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾ [التوبة: ٤١] .

﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ [الحج: ٧٨] .

وقول رسول الله ﷺ : **« جاهدوا فى سبيل الله فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم »** .

ومن مزايا الإسلام أنه ما ترك وسيلة خير فى المعاش أو المعاد إلا وبينها وندب إليها ، وحض عليها كإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة والحج والصيام، ومهام الحياة الزوجية والعملية ، والحرب والسلم والسياسة مما ذكره القرآن الكريم وبينته السنة النبوية . وهو دين شامل كامل لكل جوانب الحياة .

وما أزيدك بالإسلام معرفة ... كل الفضائل فى الإسلام والحب

وهو دين يربى عقيدة التوحيد قوية عند الإنسان المسلم فلا يحزن لما أصابه ، ولا يفرح بما أتاه ، فهو دائما مع الله فى كل حالة . فى مرضه ، وفى صحته ، وفى فقره ، وفى غناه ، وفى صباه ، وفى عجزه ، وفى زواجه ، وفى متجره ، وفى مصنعه ، فى كل وقت هو مع الله رب العالمين .

أيها المسلمون : هذا هو الإسلام أمامكم ، فأين نحن من الإسلام ؟، وأين الإسلام منا؟ . تمسكوا بالقرآن والسنة ، وسيروا فى الأرض ، لتعلنوا أمام الناس جميعهم أنكم مسلمون موحدون ، لا تخافون إلا من الله ، ولا ترهبون سواه .

قولوا كلمة الحق لكل رطب ويابس ، لكل الخلق على اختلاف أنواعهم . قولوا كلمة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ كما قالها المسلمون من قبلكم . فتفاعلت معهم الدنيا كلها ، فملكوا البلاد ، وسادوا العباد .

ومما زادنى شرفا وتيها ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى ... وأن صيرت أحمد لى نبيا

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك قريب مجيب الدعوات . اللهم وفق حكام المسلمين لإقامة حدود الله . اللهم بصرنا بعيوبنا . اللهم لا تشمت فينا أعداءنا ، واسترنا بسترك الجميل يارب العالمين .

عباد الله .. إن الله جمع الفضائل كلها فى نصف آية من كتاب الله فقال : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى** ﴾، ونهى عن الرذائل كلها فى النصف الآخر من هذه الآية نفسها فقال : ﴿ **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ . اذكروا الله العظيم يذكركم ، وأقم الصلاة .

* * *

٧ - من أخلاقيات المسلمين

الحمد لله ... قطرة من فيض جوده تملأ الأرض ريًا ، ونظرة بعين رضاه تجعل الكافر وليًا . رباه .. أذنبنا فاغفر لنا ، فأنت الكريم الحليم ، وأنت الغفور الرحيم .

يارب ... يارب :

يا رب أنت أمرتنى ونهيتنى ... وأريتنى طرق الضلالة والهدى
وعلمت أنى لا أفر من الذى ... قدرت لى.. إن كان خيرًا أو ردى
وسلكت بى ما شئت للشىء الذى ... فى الخلق ما أخفيته عنهم سدى
فاقبل بفضلك توبتى لك مخلصًا ... وارحم ، فإنى قد بسطت لك اليدا
واصفح عن العبد الذى يا سيدى ... قد جاء معترفًا ، وعاش موحدًا

وأشهد أن لا إله إلا الله ... أنعم على المؤمنين بالخلق العظيم ، سبحانه ، حض على الأخلاق ، وحذر من سوئها ، ليجعل المسلمين فضلاء ، يعيشون بالخلق ، فتنشأ بينهم المودة والرحمة .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا رسول الله ... قال عنه ربه : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [القلم: ٤]. وقال عن نفسه : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » . وقال يعلمنا الخلق الكريم فيما رواه الطبرانى والحاكم عن أنس : « **أربع لا يصبن إلا بعجب : الصبر، وهو أول العبادة، والتواضع ، وذكر الله ، وقلة الشىء** » .

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الطهر والكرم

اللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود وجلاء النفوس ، وذهاب الهموم ، ونور الأبصار ، وغذاء الأرواح .. محمد .

أما بعد :

أحباب الحبيب المصطفى محمد . **أيها الأخوة المسلمون :** أراد الله للمسلم أن يعيش وسط إخوانه فى أمن واطمئنان ، فجمعهم جميعًا تحت لا إله إلا الله ، وأرسى لهم قواعد الأخلاق ، حتى تقوم المودة بينهم ، وتكون لهم سماتهم المعروفة ، وأخلاقهم المعهودة ، فالمسلمون ينتسبون لخاتم الأديان الذى جاء بأعلى درجات الأخلاق .

ولسلفنا الصالح حديث عن الخلق ، فقد قال الحسن رحمه الله : « الخلق بسط الوجه

وبذل الندى وكف الأذى » ، وقال : « إرضاء الخلق فى السراء والضراء » ، وقيل غير ذلك مما هو من ثمرات حسن الخلق . وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق فى أوصاف المؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ [الحجرات : ١٥] .

فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو قوة العقل ومنتهى الحكمة ، والمجاهدة بالمال هى السخاء الذى يرجع إلى ضبط قوة الشهوة ، والمجاهدة بالنفس هى الشجاعة التى ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال ، فقد وصف الله الصحابة فقال : ﴿ **أشداء على الكفار ، رحماء بينهم** ﴾ [الفتح : ٢٩] . فأشار إلى أن للشدة موضعًا ، وللرحمة موضعًا ، فليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال وقال آخر :

أحب مكارم الأخلاق جهدى … وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلمًا … وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه … ومن حقر الرجال فلن يهابا

ومن أخلاق المسلمين : التواضع . ففى التواضع شرف وكرامة ، وبه تسير على الأرض يحترمك كل الناس ، وبالكبر يبغضونك ، ولذا أمر الإسلام بالتواضع ، وحذر من الكبر فقال تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق** ﴾ [الأعراف : ١٤٦] . وقال : ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾ [إبراهيم : ١٥] . وقال : ﴿ **إنه لا يحب المستكبرين** ﴾ [النحل : ٢٣] . وقال: ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ [غافر : ٦٠] .

ومن السنة النبوية الشريفة ، قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر** » .

وفى الحديث القدسى : « **يقول الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدًا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى** » .

فكفى أن المتواضع يرفعه الله ، وينزله منزلة حسنة ، يقول الرسول ﷺ : « **ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** » .

وقال وهب : لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال : أنت حرام على كل متكبر .

عبد الله .. انظر إلى نفسك ، وإلى حالتك حين مرضك ، وإلى حياتك تجد أنك الضعيف ، فعلام التكبر :

ولله در من قال :

لو فكر الناس فيما فى بطونهم … ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة … وهى بخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل ، وأذن ريحها سهل … والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا … أقصر فإنك مأكول ومشروب

أيها المؤمنون ، والكبر على سبعة أنواع :

الأول – تكبر العالم : إذ يستشعر فى نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه ويستحقر الناس، ويستجهلهم ، ويستخدم من خالطه منهم، وقد يرى نفسه أعظم عند الله منهم.

الثانى – الكبر بالحسب والنسب : فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب ، فاحذر أخى من هذا ، وعدنا نسمع من بعض الناس هذه الأيام من يقول للآخر وقد حدث بينهما بعض الشجار .. من أنت ؟ ومن أبوك ؟

الثالث – تكبر العابد : فبعض العابدين يظن نفسه قد نجى من العقاب ، فيستحقر الناس ، ويراهم هالكين ، وهذا جفاء وكبر ، يقول الرسول ﷺ : « **إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم** » . رواه مالك وأحمد ومسلم .

الرابع– التفاخر بالجمال: ويتدرج هذا التفاخر لذكر عيوب الناس، فيسمى كبرًا.

الخامس – الكبر بالمال : وهذا ما يجرى بين الأغنياء بل بين معظمهم وكبار التجار فيستحقرون الفقراء من الناس .

السادس – الكبر بالقوة : وشدة البطش بأن يستحقر الضعيف .

السابع – الكبر بالجاه والأنصار : فيذكر مكانته وضآلة غيره .

هذا: وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره، فجاء يومًا، ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما، فقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة، فرأى أثر ذلك فى وجهه، فقال : عجبًا لابن آدم يتكبر، وقد خرج من مجرى البول مرتين. وصدق القائل:

فلا تمش يومًا فى ثياب مَخِيلَة … فإنك من طين خلقت وماء
ولله نعماء علينا عظيمة … ولله إحسان وفضل عطاء
وما الدهر يومًا واحدًا فى اختلافه … وما كل أيام الفتى بسواء
أزور قبور المترفين فلا أرى … بهاء ، وكانوا قبل أهل بهاء

أيها المؤمنون : ومن أخلاقيات المؤمنين : الصبر . فللدنيا مشكلاتها وعقباتها ، ولها طبيعتها التى تتعب الناس ، ومن طبيعتها أنها لا تدوم أحوالها ولن يسلم أحد من شر نزالها ،

ولذا قالوا : إذا جادت عليك الدنيا فجد بها على الناس ، فلا الجود يخليها إذا هى أقبلت ، ولا البخل يبقيها إذا هى تذهب .

ولأحوالها المتغيرة ، كان ولابد للإنسان أن يصبر حتى يستطيع أن يواصل مسيرة الحياة ، ولذلك ربى الإسلام فضيلة الصبر فى نفوس المسلمين .

يقول تعالى : ﴿ **ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [النحل: ٩٦] . وقال : ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾ [القصص: ٥٤] . وقال : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الزمر: ١٠] . ولذلك قال العلماء : الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى ، وباعث الدين هو ما هدى إليه الإنسان من معرفة الله ورسوله ، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وهى الصفة التى بها فارق الإنسان البهائم فى قمع الشهوات . وباعث الهوى هو مطالبة الشهوات بمقتضياتها . فمن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفته الشهوة التحق بالصابرين . وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق بأتباع الشياطين .

وقد قيل : الصبر بالله غناء ، والصبر لله بقاء، والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء وقيل فى معناه:

الصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر فى سائر الأشياء محمود

وقيل أيضًا :

الصبر يحمل فى المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يحمل

ثم إن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاث أحوال :

أولاها : أن يقهر داعى الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة، ويتوصل إليه بدوام الصبر.

ثانيها : أن تغلب دواعى الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين ، فيسلم الإنسان نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد، وهؤلاء هم الغافلون .

ثالثها : أن تكون الحرب سجالاً بين الجندين ، فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه ، وهذا يعد من المجاهدين لا من الظافرين . وثواب الصبر جزيل ، انظر إلى قول رسول الله ﷺ ، حينما يقول : « **ما يصيب المسلم ، من وصب ، ولا نصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله له من خطاياه** » (رواه البخارى ومسلم) . فعليكم بالصبر عباد الله حتى تنطلق بكم سفينة الإيمان ، إلى بر الأمان إن شاء الله .

أيها الإخوة المؤمنون : ومن أخلاق المؤمنين : **الشكر** . فالشكر ترجمة صادقة لماهية الإنسان المسلم ، وعنوان واضح لمعدنه ، فالإنسان الشاكر يحبه الناس ، والجاحد يكرهونه

ولذلك ربى الإسلام فضيلة الشكر فى نفوس أبنائه .

يقول تعالى : ﴿ **فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

وقال : ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ﴾ [النساء: ١٤٧] ؟

وفى الحديث : « **الطاعم الشاكر بمنزلة الشاكر** » .

فانظر يا أخى إلى من هو أسفل منك حتى تكون شاكرًا على الدوام كما قال رسول الله ﷺ : « **انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم** » .

من شاء عيشًا يستظل به ... فى دينه ثم فى دنياه أمثالا

فلينظرن إلى من فوقه ورعًا ... ولينظرن إلى من دونه مالا

« وحكى ابن السماك أنه دخل على الرشيد فى عظة فبكى ثم دعا بماء فى قدح فقال : يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفديها ؟ قال : نعم فاشرب ريًا بارك الله فيها ، فلما شرب قال له يا أمير المؤمنين : لو رأيت لو منعت إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتدى ذلك ؟ قال نعم . قال فما تصنع بشىء شربة ماء خير منه » .

أيها المسلمون هذه بعض الأخلاق التى يجب أن يلتزم بها المسلمون ، فجدوا فى طلبها والتخلق بها ، يقول رسول الله ﷺ :

« **اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » . رواه أحمد والترمذى والحاكم . وقيل له : يا رسول الله ، إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها ؟ قال : « **لا خير فيها ، هى من أهل النار** » . رواه أحمد والبزار وابن حبان والحاكم .

وفى الأثر : **التائب من الذنب كمن لا ذنب له .. ادعو الله .**

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين . وكفى ... وسلام على الذين اصطفى ..

وأشهد أن لا إله إلا الله . مالك الملك وملك الملوك ..

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين .

صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبى التقى البهى النقى القرشى الكريم ، وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين ..

وبعد :

حينما تتحلى بأخلاق الإسلام ، تظهر هيبتك ، ووقارك ، وسماتك ومعالمك ، فللمسلمين معالمهم وسماتهم التى جعلتهم فى أعلى درجات البشر ، وأرفع منازل الفكر .. فكما ذكرنا أن من خلق المسلم الصبر ، والشكر ، والتواضع .

وكم رأينا أناسًا قد أوقعهم الغضب فى كثير من المهالك ، أو تسبب لهم فى الإصابة بالأمراض البدنية والنفسية .. ولسوء عاقبته ربى الإسلام فينا الحلم .

قال تعالى فى ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب

﴿ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ [الفتح : ٢٦] .

وثبت أن رجلا قال : يا رسول الله ، مرنى بعمل وأقلل ؟ . **قال : « لا تغضب** ثم أعاد عليه . فقال : **لا تغضب »** . رواه البخارى .

وقال أيضًا : **« ما تعدون الصرعة فيكم ؟ »** قلنا : الذى لا تصرعه الرجال . قال : **« ليس ذلك ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب »** . رواه مسلم .

لذلك أخى احذر الغضب ، فإن الغضب كما قال العلماء شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، وإنها لمستكنه فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد، كاستخراج الحجر النار من الحديد.

فعليك بالحلم فهو نجاة من كثير من الآثام : انظر إلى لقمان الحكيم حينما قال : ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة ، لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه .

وضرب رجل قدم حكيم ، فأوجعه فلم يغضب . فقيل له فى ذلك ، فقال : أقمته مقام حجر تعثرت به ، فذبحت الغضب .

ولذلك قال القائل :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلى مكارم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن ... إجابته عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

ومن أخلاق المسلم البعد عن الحسد .

والحسد مشكلة كبرى تولد الفتن بين الناس ولقد رفع الإسلام من قيمة المسلم فنهاه عن الحقد والحسد .. .

فقال رسول الله ﷺ : **« لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله »** رواه البخارى ومسلم .

وفى الأثر : إن أول خطيئة كانت هى الحسد : حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له ، فحمله الحسد على المعصية وقال ابن سيرين :

« ما حسدت أحدًا على شيء من أمر الدنيا ، لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على أمر الدنيا ، وهى حقيرة فى الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فكيف أحسده على أمر الدنيا ، وهو يصير إلى النار » .

وصدق القائل :

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

أيها المسلمون أحباب الحبيب المصطفى محمد :

هذه هى أخلاق المسلم التى يجب أن يتحلى بها ، ومنها أيضًا الصدق والأمانة والبعد عن الرياء ، والبعد عن الغش ، والبعد عن الغيبة والنميمة .. الخ .

فعليك أخى أن تطالبها لتتحلى بها؛ لتفوز برضوان من الله وجنة عرضها السموات والأرض .

وإياك أن يجرفك الشيطان إليها، اسمع إلى عائشة أم المؤمنين حينما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ : فقالت : كان خلقه القرآن .

اللهم حسن أخلاقنا ، وأصلح نياتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، اللهم اهدنا لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك ولا تجعله مشتبهًا علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إمامًا .

عباد الله ..

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .. يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ وأقم الصلاة .

* * *

٨ - حول الدنيا

الحمد لله ... خالق الدنيا وما عليها ، العظمة لله ، والكبرياء لله ، والحكم لله .. له الأمر من قبل ومن بعد وهو على كل شيء قدير ..

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .. آمين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله : الواحد القهار ، العزيز الغفار .. سبحانه ! سبحانه : هو الأول فلا شيء قبله ، والآخر فلا شيء بعده ، والظاهر فلا شيء فوقه ، والباطن فلا شيء دونه .. سبحانه علا : فقهر ، وبطن : فخبر ، وملك : فعدل .. يا رباه .. يا الله ..

أيا من جل عن كيف ، وأين ... وعن ند ، وعن ولد ، ووالد
ملكت الكائنات بحسن صنع ... ولانت من مخافتك الخلائق
أذنت لها تكون ، فاستكانت ... وأنت على جميع الخلق شاهد
وكنت بحيث لاكون ، وعون ... وحاشا أن تحيط بك المعاهد
وأنت بحيث أنت ، وليس أين ... ولا كيف تمثله الشواهد
أحطت بجملة الأشياء علمًا ... وأنت لكل ما فيها مراصد
ويا من ما له فى الملك ثان ... ولا مثل ، وليس له مضادد
أجرنا من عذابك واعف عنا ... وبلغنا إلى نيل المقاصد
فقد عودتنا الإحسان لطفًا ... وصعب ربنا قطع العوائد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا محمد .

اصطفاه الله رحمة للعالمين وإمامًا للمرسلين وسيدًا للأولين والآخرين ﷺ وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته وآل بيته أجمعين ..

أما بعد :

أيها المسلمون أحباب محمد ﷺ : ما الدنيا ؟، **وما حقيقتها** ، وما طبيعتها ؟، وما حالنا عليها ؟ هذا هو موضوعى إليكم فى مؤتمرنا الأسبوعى **العظيم** ..

أيها المؤمنون : فى هذا الزمان قل أن نجد تاجرًا **صدوقًا** ، وعابدًا مخلصًا ، وعاملا ورئيسًا يؤدى عمله كما يجب ، وموظفًا يلتزم بعمله ، وصانعًا يتقن صنعته ، ذلك أنهم جميعًا تكالبوا على الدنيا ، فالكل لا ينظر إلا إلى المادة ، والوصول إلى المراكز المرموقة ، ونسوا أو تناسوا

حياتهم الأخرى وكأنهم لم يقتنعوا بطبيعة الدنيا : انظر إلى قول الحق سبحانه :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطره من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران : ١٤] .

ثم قال :**﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة، ورضوان من الله، والله بصير بالعباد﴾**[آل عمران : ١٥] .

وقوله سبحانه : **﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾** [آل عمران : ١٨٥] . وقوله : **﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ...﴾** .[يونس : ٢٤] .

ولقد وصف الرسول ﷺ الدنيا فى أحاديث كثيرة ومنها :**«ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم، فلينظر بم ترجع »**.(رواه البخارى ومسلم).

وقوله ﷺ :**« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »** .(رواه مسلم) .

ومن أقوال الصحابة والتابعين : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم الدنيا كتابًا طويلا جاء فيه « فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام ، وإنما أنزل إليها آدم عقوبة ، فاحذرها » .

وقال مالك بن دينار : اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء .. يعنى الدنيا .

وقيل إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت لا أحفظهم . قال : فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟ قالت: بل كلهم قتلت. فقال عيسى عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحد، ولا يكونون على حذر؟

وقال أيضًا : الدنيا قنطرة ، فاعبروها ولا تعمروها .

عبد الله ، إن الدنيا حقيرة ، هكذا تبين لنا ، فمن هذا العاقل الذى يفتن بها ، وينقاد لزهوتها ، إن الذين يسيرون وراءها مخبولون مجانين . وأما الذين فطنوا لحالها ، فالتزموا بأوامر الله، وذموها فهم العقلاء: انظر إلى قول على كرم الله وجهه حينما يقول:

إن لله عبادًا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

وليست الدنيا وحدها هى التى تتزين لك ، بل يشترك معها الكثير فى إغوائك وإنزالك

منازل النهم كما قال القائل :

إنى ابتليت بأربع ما سلطوا — إلا لشدة شقوتى وعنائى
إبليس والدنيا ونفسى والهوى — كيف الخلاص فكلهم أعدائى

إنى ابتليت بأربع أشياء سلطوا على لقلة حيلتى ، وبطبيعتى كإنسان ألا وهم : **إبليس** وما أدراك ما إبليس ! ؟ ثم ما أدراك ما إبليس ! ؟ إن إبليس وقف يومًا أمام الله وقال له :

﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ [ص: ٨٢] .

ولقد تسبب لنفسه فى الهلاك الدائم بعد أن أمره الله أن يسجد لآدم ، فامتنع عن السجود ، فطرد من رحمة الله الواحد المعبود .

وآدم حينما أمره الله أن لا يأكل من الشجرة ، فأكل منها فطرد من الجنة .

ويروى أن آدم حينما أكل من الشجرة ، تحركت معدته لخروج ما بها وكان قبل ذلك يأكل ولا يتبول ولا يتغوط .. ولكن فى هذه المرة لأنه طعام حرمه الله كان ولابد أن ينتج تبول وتغوط ، ولما تحركت معدته ذهب يجرى هنا وهناك فأمر الله ملكًا يخاطبه ، يا آدم : مالى أراك تجرى هنا تارة ، وهناك تارة أخرى ؟! قال : ربى أريد أن أضع ما فى بطنى من القذارة ! قال : أين يا آدم ، على ضفاف الأنهار ؟! فى أباريق الذهب والفضة ؟! تحت ظلال الأشجار ؟! فوق أكوام المسك والياقوت ؟! ليس لك هنا مكان يا آدم فاهبط إلى الأرض .

ولذلك كانت الدنيا دار المصائب كلها ، دار التعب ، دار النصب ، دار الإرهاق ، دار الأرق .

هى الدنيا تقول بملء فيها — حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام — فقولى مضحك والفعل مبكى

والدنيا : ولقد ذكر صاحب الإحياء أن الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأولياء الله ، وعدوة لأعداء الله .

فأما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباده ولذلك لم ينظر إليها منذ خلقها ، ولو نظر إليها ما سقى الكافر منها شربة ماء .

وأما عداوتها لأولياء الله ، فإنهم لما تزينت لهم ، نصبوا كل النصب فى محاربتها فما وصلوا إلى الله بعد حرب شنعاء فتجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها

وأما عداوتها لأعداء الله ، فلقد تزينت لهم بزينتها ، وعمتهم بزهوتها ونضارتها ، ففتنوا بها وعولوا عليها ، فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد ، وحق عليهم غضب رب العباد .

ولذلك قيل فى شأنها : (الدنيا إذا حلت أوحلت ، وإذا كست أوكست ، وإذا جلت أوجلت ، وإذا دنت أودنت) .

وقد خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان فبكى حتى اخضلت لحيته .. « أيها المفتونون بزخرف الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، والآخرة تبقى ، فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله » .

ووعظ رجل رجُلا فكان مما وعظه به قوله : إن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، ومن سلم فيها هرم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فُتن ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، ومتشابهها عتاب ، من سعى إليها فاتته ، ومن قعد عنها أتته ، لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى .

عليك بتقوى الله واقنع برزقه — فخير عباد الله من هو قانع
فلا تلهك الدنيا ولا تطمع بها — فقد تهلك المغرور فيها المطامع

وقال آخر :

زخارف الدنيا أساس الألم — وطالب الدنيا نديم الندم
فكن خلى البال من أمرها — فكل ما فيها شقاء وهم

انظر عبد الله .. إلى نبى الله سليمان عليه السلام لقد آتاه الله من الملك والسلطان ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين . حيث أسلس له قياد الإنس والجن والوحش والطير ، وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص ، ثم أعظم الله سبحانه عليه النعمة ، وأجزل له المنة فقال :﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾ .[ص: ٣٩]

فلم يعتبر سليمان عليه السلام ذلك نعمة يركن إليها ، أو مرتبة يعتمد عليها ، أو منزلة يطمئن بها ، بل خاف أن يكون ما وهبه الله له من النعم ، استدراجًا من حيث لا يعلم ، فقال :

﴿ **هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم** ﴾ [النمل: ٤٠] .

فالأمر شأن لا يتحمله إلا المتقون ، ولذلك وضع الله الدنيا والثواب أمام الناس فقال :﴿ **وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

وقال :﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا** ﴾ [النساء: ٧٧] .

ثم إنه عز وجل لم يعط أحدًا من متاع الدنيا القليل إلا قليلا ، فإن هو أحسن فيما أعطى له ، ولم يعص الله فيه حوسب حسابًا يسيرًا ، وإن هو أساء ولم يرع حق الله فيما أعطاه حوسب حسابًا عسيرًا :

﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ [الرعد : ٩٢].

﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

فإياكم والدنيا ، فإن زينتها تنسى ذكر الله ، وزهوتها تقود بنى البشر إلى الجاهلية . وقد قال رسول الله ﷺ ..

« إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » .وقال أيضًا :

« ألهاكم التكاثر . يقول ابن آدم : مالى مالى .. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت ؟ » . أو كما قال : ادعو الله ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله ... رب العالمين .. الملك الحق المبين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله .

العزيز الغفور .. القوى المتين ..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمدًا رسول الله .

الصادق الوعد الأمين .

وبعد :

أيها المؤمنون أحباب محمد ﷺ .. يظن بعض الناس إننا حينما نتكلم عن حقارة الدنيا ، ندعوا إلى التقشف فيها ، كلا .. ولقد تناول السلف هذه القضية فقال الإمام الغزالى : (قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقًا ، فاعتقدوا أن الإشارات إلى هذه الموجودات التى خلقت للمنافع ، فأعرضوا عما يصلهم من المطاعم والمشارب .

وقد وضع الله فى الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها ، فكلما تاقت منعوها ظنًا منهم أن هذا هو الزهد المراد ، وجهلا بحقوق النفس ، وعلى هذا أكثر المتزهدين ، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم ، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول : اعلم إن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان ، فيها حظ ، وهى الأرض وما عليها ، فإن الأرض مسكن الآدمى . وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ، وكل ذلك علف لراحة بدنه السائر إلى الله عز وجل ، فإنه لا يبقى

إلا بهذه المصالح ، كما لا تبقى الناقة فى طريق الحج إلا بما يصلحها ، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به ، مدح ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشره . ووقع فى الذم ، فإنه ليس للشره فى تناول الدنيا وجه ، لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى ، ويشغل عن طلب الأخرى ، فيفوت المقصود ، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة ، ويرد لها الماء ويغير عليها ألوان الطعام ، ونسى أن الرفقة قد سارت فإنه يبقى فى البادية فريسة للسباع هو وناقته . ولا وجه أيضًا للتقصير فى تناول الحاجة ، لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها ، فالطريق السليم هى الوسطى ، وهى أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك ، وإن كان مشتهيًا ، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها ، وقضاء لحقها) .

فالإسلام يدعوك أن تكون لنفسك مركزًا اجتماعيًا ، ومالا وفيرًا من الحلال ، حتى تستغلها فى التمكن لدين الله ، فالمسلمون أقوياء .. ويجب أن يكونوا أقوياء ماديًا وعلميًا وحربيًا واقتصاديًا .

ولكن إياك أن تجرفك زهوة الدنيا وهذا المال إلى الضلال والهلاك بل عليك أن تعرف قدرها وقدر المال فيها وأنه باق لها ، لو أصلحت نيتك فهو معك حتى يكفيك عن الحرام ، وحتى تمكن به لدين الله ، وتنفق منه على فقراء المسلمين ..

وعليك أن تتذكر أخى دائمًا أن الدنيا لن تبقى لك ، فانظر إلى الذين من قبلك ، ماذا أخذوا منها ؟ وبماذا خرجوا منها ؟

لقد عاش على الدنيا ملوك وأمراء ، وفقراء وأغنياء ، وسلاطين منهم من اتقى ففاز برضوان الله ، ومنهم من غرتهم الدنيا بفتنتها وحلاوتها حتى اتبعوها ، فخابوا وحقت عليهم كلمة الله .

أيها المؤمنون : نحن فى حاجة إلى توبة تخلصنا من فتن الدنيا ومصائبها وترغبنا فى الزهد فيها ، فتوبوا إلى الله أيها المسلمون لعلكم تفلحون .

اللهم أصلح فساد قلوبنا ، وانزع الغل والحسد من صدورنا وأصلح ذات بيننا ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ..

عباد الله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ .

وأقم الصلاة ..

* * *

٩ - حول القرآن

الحمد لله رب العالمين ...

نعمه لا تحصى ، وشكره لا يؤدى ، سبحانه ، كانت نعمته علينا كنعمته فيما أحله لنا ، وتفضله فيما نهانا عنه ، كتفضله فيما أمرنا به ، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض وهو العزيز الحكيم ، أشكره على أن أعز من تزود بالتقوى ، ونهى النفس عن الهوى والفجور ، وحذر عباده من الافتتان بالدنيا وبين أنها متاع الغرور ، وأمرهم بالعمل بما جاء فى القرآن ، حتى يستقيموا على أمره ، ويسيروا كما أرادهم . فاللهم ارزقنا الأستقامة على فهمك وشريعتك ، واجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وذهاب غمنا وهمنا ، اللهم ذكرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ..آمين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ..لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ..

عبد الله ...

الله يدرى كل ما تضمر — يعلم ما تخفى وما تظهر
وإن خدعت الناس لم تستطع — خداع من يطوى ومن ينشر
يا رب ! يا عالم السر والنجوى — يا كاشف الضر والبلوى
يا من يرى مد البعوض جناحه — فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها فى نحرها — والمخ فى تلك العظام النحل
ويرى ويسمع ما يرى ما دونها — فى قاع بحر زاخر متجندل

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا محمد ﷺ القائل « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

فصلى الله عليك وعلى أصحابك ، الذين احترموا القرآن ، وساروا على نهجه ففازوا فى الدنيا والآخرة ..

أما بعد : أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ...

فقد أراد الله للبشرية جمعاء خيرًا وفيرًا ، ودستورًا محكمًا ، وشفاء من كل داء ، وطريقًا مستقيمًا، فأنزل كتابه المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال: **﴿ قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددًا ﴾** [الكهف : ١٠٩] .

﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم : ١] .

ولذلك فإن الجن حينما سمعوا القرآن قالوا : **﴿ إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا ﴾** [الجن : ١، ٢] . وقد بلغ من إكرامهم لهذا الكتاب العزيز حينما سمعوه أنهم قالوا : **﴿ أنصتوا ، فلما قضى ، ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾** [الأحقاف : ٢٩- ٣١] .

ولذلك وجب علينا أخى أن نقف من حين لآخر على أسراره وحكمه ، وهذا هو عملنا اليوم .

أيها المؤمنون : اشتمل هذا الكتاب المجيد على ذكر أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والإنسان ، ووصف خلق السموات وشمسها وقمرها ونجومها ، ووصف خلق الهواء ، والأرض ، والسحاب والماء من البحار والأنهار ، والعيون ، والينابيع وفيه تفصيل لكثير من أخبار الأمم الماضية ، وقد حفظ ذلك كله فيه بكلامه وحروفه أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ، وتقدم العلم طوال القرون الماضية وارتقت فيها جميع الفنون والعلوم ومع ذلك عجزوا جميعًا عن نقض بناء آية من آياته ، أو إبطال حكم من أحكامه ، أو تكذيب خبر من أخباره ، مع أن هذه العلوم الحديثة قد دكت فلسفة اليونان دكًا، ونسخت كل شرائع الأمم نسخًا، وتركت سائر علوم الأوائل قاعًا صفصفًا.

(إن ما يأخذه الناس من المسائل العلمية والفلسفية بالتسليم فى زمانهم لا يلبث أن يظهر كثيرًا من تلك المسلمات ، وينقض ما بنيت عليه من النظرات ، ولكن هذا القرآن المشتمل على كثير من أمور العالم الكونية، والاجتماعية، قد مرت العصور، وتقلبت أحوال البشر فى العلوم والأعمال، والأحوال، ولم يظهر فيه خطأ فى شىء منها).

أيها المؤمن : وكذلك اشتمل القرآن على ذكر كثير من المسائل العلمية التى لم تكن معروفة فى عصر نزوله ، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين فى طبيعة الكون ، وسنن الله فى الخلق ، وهذه مرتبة فوق ما ذكرناه من عدم نقض تقدم العلوم لشئ مما فيه من جهة التشريع ، ويجدر بنا أن نشير إلى البعض اليسير منها :

- تلقيح أناث الأشجار بذكورها بواسطة الرياح لتأتى الرياح بثمر جيد ، وهذا مشار إليه

في قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ [الحجر: ٢٢].

فقد كان المتقدمون يقولون فيه إنه تشبيه لتأثير الرياح البارد فى السحاب بما يكون سبباً لنزول المطر بتلقيح ذكور الحيوان لإناثه، ولما اهتدى علماء النبات فى أوربا إلى أن إناث الأشجار لا تؤتى ثمرها تماماً حتى تتلقح عادة بالذكور عرفوا أن ذلك التلقيح يكون بما تحمله الرياح من الذكور إلى الإناث ، وزعموا أن هذه المعرفة علم اكتشف ولم يكن له سبق ، فقام بعض علمائهم المطلعين وصرح **بأن القرآن قد سبقهم إلى هذا العلم** ، وهو مستر **(اجنيدى)** المستشرق الذى كان أستاذًا للغة العربية فى مدرسة (أكسفورد فى القرن الماضى) .. حيث قال :

(إن رعاة الإبل بجزيرة العرب قد سبقوا علماء أوروبا إلى معرفة ذلك بثلاثة عشر قرنًا)..

يريد أنهم عرفوه من القرآن .

غير أننا نقول : نعم إن العرب الذين عبر عنهم برعاة الإبل كانوا يعرفون تلقيح النخيل فيلقتون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخيل إلى إناثها ، ولكنهم ما كانوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك فى الأشجار ذات الثمار بالطريقة التى نبه إليها القرآن ، ودليلنا على ذلك عدم اهتداء المفسرين للمعنى الحقيقى فى الآية فقد حملوه على المجاز ، إلى أن أظهرت العلوم الحديثة حقيقة المراد ، وهذه أيضًا من معجزات القرآن الشاهدة بأنه وحى من لدن عليم خبير ، ويعضدها قوله تعالى :

﴿ ومن كُلِّ الثَّمرَاتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَينِ اثْنَينِ ﴾ [الرعد: ٣].

وهذه السنة الإلهية فى الثبات أصل لسنة التلقيح المذكور ة، ولهذا المعنى عدة آيات : أعمها وأغربها وأعجبها قوله تعالى :

﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ [يس: ٣٦]. وقوله

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون ﴾ [الحجر: ١٩].

وهذه الآية أكبر مثار للعجب بهذا التعبير (موزون) ، فإن علماء الكون المتخصصين فى علوم الكيمياء والنبات قد أثبتوا أن العناصر التى يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة فى كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقدرة من أعشار الجرام والمليجرام وكذلك نسبة بعضها إلى بعض فى كل نبات: أعنى أن هذا التعبير بلفظ (كل)

المضاف إلى لفظ (شىء) الذى هو أعم الألفاظ العربية الموصوف بالموزون تحقيق لمسائل علمية فنية دقيقة لم يكن شيء منها يخطر على بال بشر قبل هذا العصر.

تأمل فى نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليك
غصون من لجين شاخصات   بأبصار هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريك

* * *

وإذا تأملت الأدب وقواعده ، وقرأت فى علم البلاغة تجد أن فحول الشعراء وعلماء البلاغة اشتهر الواحد منهم فى فن واحد فقط .

فأحسن الشعراء أمرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا رغب .

ولكن القرآن جمع كل الفنون فى وقت واحد ليثبت أنه كلام رب العالمين **..فمثلا** .

– فى التشريع :

﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ﴾[الإسراء: ٧٨].

وفى التوحيد :

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾[الرعد: ٨].

– وفى الزجر :

﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ﴾ [العنكبوت: ٤٠]

– وفى الترهيب :

﴿ أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

– وفى الترغيب :

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ [السجدة: ١٧].

وفى الحكمة :

﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

أيها المؤمنون :

من الذى أنزل القرآن ؟ .

من الذى أحكمه ؟ .

من الذى جعله تبيانًا لكل شىء ؟ .

من الخالق ؟ . من الرازق ؟ . من العزيز ؟ . من الجبار ؟ . من القهار ؟ لا قهار إلا الله ! ولا جبار إلا الله ! ولا عزيز إلا الله ! ولا رحيم إلا الله .

ما لنا نميل بعقائدنا وبديننا وبأنفسنا شرقًا أو غربًا وعندنا الحضارة ، عندنا القرآن .

أيها المسلمون .

عودوا إلى الله وعاهدوه أن تسلكوا كما أمركم القرآن ، **وأن** تعملوا بما أمركم به ، وأن تعلموه أولادكم ، وتطبقوه فى بيوتكم ، يقول رسول الله ﷺ :

« من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول (ألم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .(أخرجه الترمذى) .. وفى الأثر **« إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب »** .ادعوا الله ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ...

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. الملك الحق المبين ..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين .. اللهم صلِ على هذا النبى التقى البهى النقى القرشى الزمزمى المكى الكريم وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين .

وبعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ..

– انظروا إلى كل قضية قد استعصت على الناس ، **وتأملوا فى** كل عقدة قد فشلوا فى حلها ، وانظروا إلى كل ما حل بالمسلمين من فقر ، وتأخر ، **وجهل** ، وتشتت ، وانحراف ، وبدع ، ومنكرات ، وفساد ، وسوء أحوال .. تجدوا أن **ذلك** كله بسبب بعدهم عن القرآن .

– آه لو رجع الناس إلى القرآن، لما اشتكوا يومًا من ضيق العيش، ولا من مرض محطم.

أيها المسلم : ومن الواجب عليك كمسلم أن تكثر من قراءة القرآن ، فالشيطان يرتعد خوفًا وفزعًا من البيت الذى يقرأ فيه القرآن وخاصة سورة البقرة ، والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يكون مقفرًا ، خاليًا من البركة .

وما أكثر الشياطين فى هذه الأيام سواء أكانت شياطين الإنس ، أو شياطين الجن .

وقد قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن : مثل الأترجة ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن : مثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن : مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن : مثل الحنظلة ، لا ريح لها ، وطعمها مر » رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ :

« يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول يا رب حلة : فيلبس تاج الكرامة . ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة . ثم يقول : يا رب ارضَ عنه ، فيرضى عنه ، فيقول له : اقرأ وارق ، ويزاد بكل آية حسنة » .

وقال أيضًا :

« من قرأ القرآن وتلاه وحفظه : أدخله الله الجنة ، وشفعه فى عشرة من أهل بيته ، كل قد وجبت له النار » .

وقالت أم الدرداء :

(دخلت على عائشة رضى الله عنها ، فقلت لها : ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ ممن دخل الجنة ؟) .

فقالت رضى الله عنها :

(إن عدد آى القرآن على عدد درج الجنة ، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن) .

وقال ابن عباس رضى الله عنه :

(من قرأ القرآن واتبع ما فيه ، هداه الله من الضلالة ، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب).

نعم فقد قال الحق سبحانه :

﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ [طه : ١٢٣] .

فهنيئًا لك أيها المسلم إذا قرأت القرآن أو استمعت إليه أو علمته أحدًا من الناس ، وخاصة أولادك .

ها هو الرسول ﷺ يرسم لنا طريق الفلاح ولكننا معرضون عنه ، القرآن بين أيدينا ، وفى الإذاعة ، وفى كل مكان ، ولكنك تجد المسلمين يفضلون الأغانى الخليعة ، والموسيقى الساقطة ، والمرح والمزاح على كتاب الله .

اسمع معى ما قاله الرسول ﷺ فى القرآن حتى نعود إليه حكامًا ومحكومين .

« فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ولا يَخلَق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : « إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد » ..من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

* * *

والذى لا إله غيره .. لو عدنا إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسول الله ﷺ لأصلح الله لنا حالنا ، ولكننا نفضل العمى على الهدى أفما آن للمسلمين أن يعودوا إلى قرآنهم وسنة رسولهم ؟

اللهم وفق حكام المسلمين لإقامة حدود الدين .

اللهم وفقهم للعمل بكتابك وسنة نبيك الكريم .

﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [آل عمران : ١٩٣، ١٩٤] . **﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾** [آل عمران : ٨] .

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وذهاب غمنا وهمنا اللهم ذكرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا .

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .. إنك قريب مجيب الدعوات مولانا رب العالمين ..

عباد الله ...

إن الله جمع الفضائل كلها فى نصف آية من كتاب الله فقال :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ .

ونهى عن الرذائل كلها فى النصف الآخر من الآية نفسها فقال :

﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ** يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ .

اذكروا الله العظيم يذكركم .. وأقم الصلاة ..

* * *

١٠ - مع المصطفى ﷺ

الحمد لله ...

الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ..

كوكب العناية وشمس الرعاية الربانية .. مصباح الرحمة المرسلة وشمس دين الإسلام .. من تولاه مولاه بالرعاية الأبدية .. وأعلى مقامه فوق كل مقام وفضل أمته على الأمم السابقة القبلية .. فنالت به درجة القرب والسعادة والاحترام فقال :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١٠١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له فى سلطانه، ولا مناوىء له فى علو شأنه..

لما صعد الرسول ﷺ إلى السموات العلى ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى، قال : « **ربى لا أسألك فاطمة ابنتى ولا خديجة زوجتى ولا صفية عمتى ، ولا العباس عمى ، ولكن أمتى أمتى** » ..

قال : « **يا حبيبى إن أمتك ضعيفة وربها لطيف ونبيها القرشى الشريف ، فوعزتى وجلالى لأقسمن القيامة بينى وبينك .. أنت تقول أمتى أمتى .. وأنا أقول : رحمتى رحمتى** » .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد عبد الله ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، نبى الهدى الذى طهر قلبه ، وسيد الأنام الذى ختم به الرسالة ربه .

اصطفاه الله رحمة للعالمين وحجة للمرشدين وحجه للمسترشدين ونقمة على الكافرين ، وقامعًا للملحدين ، وسيدًا للأولين والآخرين ..

اللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود ، وجلاء النفوس وذهاب الهموم ونور الأبصار وغذاء الأرواح .. محمد ..

أما بعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون .. أحباب الحبيب المصطفى محمد ..

حديثى إليكم اليوم .. عن سيد البشرية وإمام العالمين .. النبى المصطفى ، والرسول المجتبى

محمد ﷺ .. حول صفاته وأخلاقه وبعض من سيرته .. علنا نعود إلى رشدنا فنتبع سنته ، ونلزم طريقته .

أيها المؤمنون :

قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وكان ﷺ يدعو ويقول :

« **اللهم حسن خَلقى وخُلقى** » .

فأنزل الله القرآن وأدبه فقال : **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾** [الأعراف : ١٩٩] .

﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ [لقمان : ١٧] وقوله :

﴿ ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ [فصلت : ٣٤] وقوله تعالى :

﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران : ١٣٤].

وكثيرًا من هذه التأديبات والتى كان المقصود الأول من معرفتها واتباعها هو الرسول ﷺ ولذلك قال : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

يقول أنس رضى الله عنه : « فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ، ولم يدع غشًا أو عيبًا إلا وحذرنا منه ونهانا عنه » .

فصلى الله عليك وسلم يا رسول الله :

يا من زكى الله عقلك فقال : **﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾** [النجم : ٢] .

وزكى لسانك فقال **﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾** [النجم : ٣] .

وزكى جليسك فقال : **﴿ علمه شديد القوى ﴾** [النجم : ٥] .

وزكى فؤادك فقال : **﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾** [النجم : ١١] .

وزكى بصرك فقال : **﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾** [النجم : ١٧] .

وزكى قلبك فقال : **﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾** [الشرح : ١] .

وزكاك كلك فقال : **﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾** [القلم : ٤].

يا سيد الرسل الكرام ومن به ... قد قام للدين الحنيف بناء
الحق نور ، أنت مظهر فجره ... والشرك ليل أنت فيه ضياء
والعدل أنت وضعت ثابت ركنه ... فمضى على سنن لك الخلفاء
والسلم دأبك ، ما ركبت كريهة ... حتى بدا للمشركين عداء
والمسلمون جميعهم جسد ، إذا ... عضو شكا ، سهرت له الأعضاء
والدين والدنيا لنا قد جمعا ... وشريعة قدسية غراء
والظلم قد سدت عليه طريقه ... هذى العدالة فالنفوس سواء

ولذلك كان إمامًا للأنبياء ليلة الإسراء ووقف خطيبًا فى بيت المقدس متحدثًا بنعمة الله عليه وعلينا نحن المسلمين فقال :

« الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا ، وأنزل على القرآن فيه تبيان كل شىء ، وجعل أمتى وسطًا ، وجعل أمتى هم الأولين وهم الآخرين ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحًا وخاتمًا » .

جاء الرسول ﷺ ليعطى للبشرية ما تحتاج إليه من الأخلاقيات وليقوّم سلوكهم ، وليهذب أخلاقهم .

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد :

جاء ليقول للناس قول الحق سبحانه :

﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئًا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ [يونس : ٤٤] .

وقال لهم أيضًا فى الحديث :

« من استحيا من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليكثر من ذكر المقابر والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا » .

ولذلك وجبت محبته أكثر من أنفسنا وهو القائل :

« والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » .

كل القلوب إلى الحبيب تميل ... ومعى بهذا شاهد ودليل
أما الدليل إذا ذكرت محمدًا ... صارت دموع العارفين تسيل
هذا رسول الله هذا المصطفى ... هذا لكل العالمين رسول
يا سيد الكونين يا علم الهدى ... هذا المتيم فى حماك نزيل

أيها المؤمنون : انظروا إلى شمائل رسولكم ﷺ تجدوا أنفسكم أحوج إلى التمسك بها

وملازمتها .. وهذه هى بعض صفاته ، علنا نهفوا إلى التمسك بسنته :

- كان أبغض الخلق إليه الكذب .
- كان أحب الألوان إليه الخضرة .
- كان أحب الثياب إليه الحبرة .
- كان أحسن الناس خُلقًا .
- كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خَلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير .
- كان أخف الناس صلاة على الناس ، وأطول الناس صلاة لنفسه .
- كان أخف الناس صلاة فى تمام .
- كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : **« السلام عليكم »** .
- كان إذا أتى مريضًا ، أو أتى به قال :

« أذهب البأس رب الناس ، اشف أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقمًا » .

- كان إذا أتاه الأمر يسره قال :

« الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات » وإذا أتاه الأمر يكرهه قال : **« الحمد لله على كال حال »** .

- كان إذا أُتى بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة ؟ فإن قيل : صدقة ، قال لأصحابه : **« كلوا »** ولم يأكل ، وإن قيل : هدية ، ضرب بيده فأكل معهم .
- كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الإيمن .
- كان إذا استجد ثوبًا سماه باسمه قميصًا أو عمامة أو رداء ، ثم يقول : **« اللهم لك الحمد ، أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له »** .
- كان إذا استسقى قال : **« اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحى بلدك الميت »** .
- كان إذا امتاك أعطى السواك الأكبر ، وإذا شرب أعطى الذى عن يمينه .
- كان إذا أصبح وإذا أمسى قال : **«أصبحنا على فطرة الإسلام،** وكلمة **الإخلاص،**

ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم، حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين».

رباه ..

يا ربى إن ذنوبى فى الورى عظمت ... وليس لى من عمل فى الحشر ينجينى
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه ... حب النبى وهذا القدر يكفينى

– وكان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب، لم يزل معرضًا عنه حتى يحدث توبة.

– كان إذا أفطر بعد صيام قال : « **ذهب الظمأ ، وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله** » .

– كان إذا أكل أو شرب قال : « **الحمد لله الذى أطعم وسقى ، وسوغه وجعل له مخرجًا** » .

– كان إذا أوى إلى فراشه قال : « **الحمد لله الذى أطعمنا ، وسقانا ، وكفانا ، وآوانا ، فكم من لا كافى له ، ولا مأوى له** » .

– كان إذا بعث أحدًا من أصحابه فى بعض أمره قال : « **بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا** » .

– وكان إذا تهجد يسلم بين كل ركعتين .

– وكان إذا توضأ أخذ كفًا من ماء فأدخله تحت حنكه ، فخلل به لحيته ، وقال : « **هكذا أمرنى ربى** » .

وكان إذا خرج من بيته قال : « **بسم الله ، رب أعوذ بك من أن أذل أو أذل ، أو أضل أو أضل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على** » .

– كان إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش ، يقول صبحكم ومساكم .

– كان إذا دخل المسجد قال : « **أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم** » .

– كان إذا دخل على مريض يعوده قال : « **لا بأس . طهور إن شاء الله** » .

– كان إذا راعه شىء قال : « **الله ربى ، لا شريك له** » .

ومع هذه المكانة الرفيعة .. جاءه الحِب ابن الحِب (أسامة بن زيد) يشفع فى امرأة شريفة فى قومها ، وقد سرقت ، فقال له يومها وقد عرف الغضب فى وجهه ، وكان لا يغضب إلا

لله : « **أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » .

وحاشا لله أن تسرق فاطمة ، أليست ريحانة رسول الله ﷺ ، رضاها من رضاك ، وغضبها من غضبك ، أليست فاطمة التى كانت تقوم على شئون بيتها : تأثرت يداها من الرحى ، وتأثر نحرها من حمل قربة الماء ، واغبرت ثيابها من كثرة ما كنست بيتها ، وجاءها صبى فطلبت منك أن يخدمها ، فقلت لها بمنطقك السديد ، وعدالتك الباهرة : « **لا أعطيك وأدع أهل الصفة** » تعنى فقراء المسلمين الذين عرفوا بمكانتهم فى مسجدك الشريف وقلت لها يا فاطمة : « **اتقى الله ، وأدى فريضة ربك ، واعملى بعمل أهلك ، فإذا أويت إلى فراشك فقولى : سبحان الله ثلاثًا وثلاثين ، والحمد لله : كذلك ، والله أكبر : كذلك ، ثم قولى : لا إله إلا الله ، فهذه المائة خير لك** » . فماذا قالت ؟. قالت بلسان الرضا ومنطق القناعة : رضيت بالله ورسوله .

فصلى الله عليك وسلم يا سيدى يا رسول الله وصدقت وأنت القائل : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع** » . أو كما قال ﷺ ... **ادعوا الله ....**

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين .. والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين ..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين ..

اللهم صل على هذا النبى التقى النقى القرشى الزمزمى الكريم وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وبعد : **فيا أيها الأخوة المؤمنون** أحباب الحبيب المصطفى محمد ..

هكذا كانت شخصية المصطفى ﷺ ، انظر إلى قوله : « **إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطيل فيها ، فأسمع بكاء الصبى ، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه** » .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله :

وإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان فى الدنيا هما الرحماء
يا من له الأخلاق ما تهوى العُلا ... منها ، وما يتعشق الكبرياء

انتك فى الخلق العظيم شمائل   يعزى بهن ويولع الكرماء

ولذلك لما توفى الرسول ﷺ ، بهت الناس ، ودهشوا ، وارتفع البكاء ، وطاشت ... ، وجعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إن رجالاً من المنافقين زعموا أن رسول ﷺ قد توفى ، وإنه والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، وخرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال : « من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » .

ثم تلا قوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [الزمر : ٣٠] .

فقال عمر رضى الله عنه : فكأنى والله لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل ذلك ، لما ... ، ثم قال : أشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الحديث كما حدث ، وأن الله تعالى حى ... ، وعنده نحتسب رسول الله ﷺ ، ثم سقط رضى الله عنه إلى الأرض ، وجعل ... ويقول فى بكائه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله : لقد كان لك جذع تخطب عنده ، ... كثر الناس اتخذت منبرًا لتُسمعهم ، فحزن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، ... أولى بالحنين عليك حين فارقتهم .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ... : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠] .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء ، وذكرك ... فقال : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون .. ﴿ يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ [الأحزاب : ٦٦] .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لئن كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أعطاه ... غدوها شهر ، فما ذاك بأعجب من البراق حين ركبته إلى بيت المقدس ، ثم صليت ... فى ليلتك بالأبطح ، صلى الله تعالى وسلم عليك ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لئن ... عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أعطاه معجزة الله إحياء الموتى ، فما ذاك بأعجب من ... حين كلمتك وهى مسمومة ، فقالت لا تأكلنى فإنى مسمومة ، بأبى أنت وأمى يا رسول ... قد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه ، فقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ﴾ . ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا .. فلقد وطىء ظهرك ، وأدمى

وجهك ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيرًا .

قلت : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد اتبعك فى قلة سنيك ، وقصر عمرك ، ما لم يتبع نوحًا عليه الصلاة والسلام فى كثرة سنيه ، وطول عمره ، فلقد آمن بك كثير وما آمن معه إلا قليل .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لو لم تجالس إلا كفوك لما جالستنا ، ولو لم تنكح إلا كفوك لما نكحت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفوك لما آكلتنا ، ولبست الصوف ، وركبت الحمار ، ووضعت طعامك بالأرض ، ولعقت أصابعك تواضعًا منك ، صلى الله عليك ..

وانظر كيف أن الله سبحانه جمع الأنبياء فى عالم الذر ..

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] .

هذا هو الرسول ﷺ أمامكم ، فعودوا إلى سنته وطريقه وافهموا نهج الإسلام تفوزوا فى الدنيا والآخرة .

اللهم أصلح فساد قلوبنا ، وانزع الغل والحسد من صدورنا ، اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا .. واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر .

عباد الله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . اذكروا الله العظيم يذكركم ..

وأقم الصلاة .

* * *

١١ - اتباع السنة

الحمد لله رب العالمين ...

العليم الخبير ، القوى المتين ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، نسألك يا الله أن تعلمنا ما جهلنا ، أن ترزقنا علما نافعًا وقلبًا خاشعًا وعملا متقبلا ، وشفاء من كل داء ...

وأشهد أن لا إله إلا الله ...

القاهر فوق عباده فلا يمانع ، الظاهر على خليقته فلا يدافع .... يا رب العالمين.. يا الله ...

أيا من كلما نودى أجابا   ومن بجلاله ينشى السحابا
وكلم فى الدجى موسى بلطف   كلامًا ثم ألهمه الخطابا
ويا من رد يوسف بَعد بُعد   وكان أبوه ينتحب انتحابا
ويا من خص أحمد واصطفاه   وأعطاه الرسالة والكتابا
وقربه وسماه حبيبًا   وأعتق من شفاعته الرقابا
لك الفضل المبين على عطاء   مننت به وضاعفت الثوابا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا . إمام كل رسول ونبى ، وسيد كل عالم وتقى ، نبى الهدى الذى طهر بالتوحيد قلبه ، وسيد الأنام الذى ختم به الرسالة ربه . النبى الأمى الذى علم المتعلمين ، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب اليائسين والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط ، ومعترك الأمواج إلى شاطىء الله رب العالمين . اللهم صل وبارك على أستاذ الوجود ، وجلاء النفوس وذهاب الهموم ونور الأبصار ، وغذاء الأرواح.. محمد ....

أما بعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد.. فى هذا الزمان البائس ، انتشرت الفتن والمصائب ، وعمت البلوى ، وزادت العجائب واتجه المسلمون شرقًا وغربًا ، ونسوا أو تناسوا السنة النبوية ، حتى أصبح المتمسكون بها غرباء فى أرض الإسلام ، وليس ذلك فحسب ، بل استهزىء بهم ، وافترى عليهم ، وتفنن مروجو الفتن ، فى صنع الأقاويل ، وفى (حبك) الشعارات حتى يبعدوا الناس عن السنة ، فيبقوا سادرين فى غيهم وضلالهم . وها هو الرسول ﷺ يبين القضية فيقول : **« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدًا حبشيًا ، فإنه من يعش منكم بعدى ، فسيرى اختلافًا كثيرًا . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن**

كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ...

وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾** [النساء : ٥٩] . **﴿ من يطع الرسوك فقد أطاع الله ﴾** [النساء : ٨٠] .

وقال : **﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾** [النور : ٥٤] .

وقال : **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبيكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾** [آل عمران : ٣١] .

ومن أحاديثه ﷺ ما قاله فى حجة الوداع : **« إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا ، إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدى أبدًا ، كتاب الله وسنة نبيه »** . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وقوله ﷺ : **« يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل ..»** ثم قال : **« يا بنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى ، فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة »** . (رواه الترمذى وقال حديث حسن) .

وقوله ﷺ : **« من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد »** . (رواه الطبرانى والبيهقى) .

والبعيدون عن السنة نأوا بأنفسهم عن مدار الخير والراحة النفسية إلى التخبط بين ظلمات الباطل .. ونحن خاصة فى زماننا محتاجون إلى التمسك بالسنة بعدما فسدت حياتنا وكما أخبر رسول الله ﷺ : **« فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا »** . وقد رأينا الكثير والكثير ، ورحم الله السيدة صفية بنت عبد المطلب حينما قالت ترثيه :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا   وكنت بنا برًا ولم تك جافيًا
وكنت رحيمًا هاديًا ومعلمًا   ليبك عليك اليوم من كان باكيًا
لعمرك ما أبكى النبى لفقده   ولكن لما أخشى من الهرج آتيًا

وهذا هو الهرج كما قال القائل :

(صلاة متروكة ، وزكاة ممنوعة ، وقرآن مهجور ، وتبرج ممقوت ، ونساء وفتيات فى الأسواق ، وغيرهن على الدين خارجات ، وارتكاب لكل أنواع الموبقات) . وقد حذر النبى ﷺ من البدع ، وترك السنة فقال :

« من رغب عن سنتى فليس منى » . انفرد به البخارى ، ورواه عن عبد الله ابن عمر .

وقال : **« أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دونى ، فأقول يا رب أصحابى .**

فيقال : **إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك** » . أخرجاه فى الصحيحين عن ابن مسعود .

أيها المؤمنون أحباب المصطفى محمد... ومن البدع : حلق اللحية.. فلقد قال رسول الله ﷺ : « **خالفوا المشركين ، وفروا اللحى ، وحفوا الشوارب** » .

(أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر) .

هذا هو قول الإسلام فى اللحية ، ولقد أجمع الأئمة الأربعة علي حرمة حلقها ولم ندر بعد وضوح التام فى أمر اللحية لماذا يغفل المسلمون عنها ، بل يعدون إطلاقها من المخالفات والرجعية . إلا ما رحم الله . أيها المسلم : عليك بإطلاق لحيتك تنفيذا لسنة نبيك ، ولا تعبأ بهؤلاء العصاة الذين خذلهم الشيطان ، وتملك على نواصيهم . إن اللحية ستزيدك وقارًا ومهابة ، وتعصمك من كثير من المحارم ، وتقربك إلى الله ، فهى من سمات المسلمين الموحدين ...

ومن البدع اتخاذ القبور على المساجد : وهى بدعة انقلبت فى زماننا إلى عبادة مستحسنة ، وقد نهى عنها رسول الله ﷺ فقال : « **إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك** » . (رواه مسلم والنسائى) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج** » . (أخرجه أحمد) .

حتى أنه ﷺ نهى عن اتخاذ قبره ، وقبر غيره مسجدًا خوفًا من المبالغة فى تعظيمه ، والافتتان به ، وربما أدى ذلك إلى الكفر كما حدث لكثير من الأمم الخالية..

وكذلك من البدع الزخرفة والتصاوير فى المساجد ، **لأنها** تشغل المصلين عن الخشوع فى الصلاة وقد قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد** » . أى فى بنائها وزخرفتها .

أيها المؤمنون ، ومن البدع ما يسمى بالموالد ، **وهى** حفلات صاخبة ، ومجتمعات سوقية ، ابتدعها المسلمون فى عهودهم المتأخرة تحت اسم تكريم الأولياء ، وإعلاء قدرهم ، وإعلاء مكانتهم ، وبيان محبتهم.. وذلك عن طريق تقديم النذور ، والقرابين ، وذبح الذبائح ، وإقامة حفلات الذكر.. وفيها تلقى الخطب والقصص **والمناقب** والأناشيد ، التى تصور حياة الأولياء ، وتصف ما له من خوارق وكرامات وكشف .. ويجب أن ننتبه إلى مثل هذه الموالد ، التى يروج لها المتكسبون للانتفاع منها.. وفيها يظهر **الفساد** كله ، فهى ملتقى العشاق ، وفيها يرى الناس من ألوان الفسوق وأنواع المخازى ، وصور **التهتك** والإسراف فى المال .

ولست أدرى أين رجال الإصلاح والإرشاد ، أين أرباب الدعوة ؟ .

أيها المسئولون عنا ، ما رأيكم لو أن الإسلام نهى عن شيء أكنتم مصدقيه ؟ إن الإسلام نهى عن البدع كلها وأولها الموالد .. خاصة وقد خرجت عن حدودها المألوفة قبل ذلك .

وها نحن نضع أمام سيادتكم أشياء تحزن القلب وتؤلم البدن ، وتوجع الضمير.. إن مصر الإسلامية والتى لها مكانتها فى ريادة العالم الإسلامى مازال بها الكثير من البدع والتى تؤيدها الدولة .. وترعاها . إن هناك قرية تسمى (ميت دمسيس) يقام فيها مولدان أحدهما للمسلمين والآخر للنصارى.. اذهبوا إلى هناك.. لتروا كيف ضاع المسلمون وبعدوا عن الإسلام؟.

ولا يخفى عليك ما يحدث فى موالد الإمام الحسين ، والسيد البدوى ، واحتفالات الطبل والرقص والزمر .

يا أمة الإسلام ! والله الذى لا إله غيره ، إن لم تنتهوا عن محاربة ربكم ، فسوف ترون عذابًا فوق ما تجدونه ، وسخطًا فوق ذلك ، ولتذوقن مرارة العيش ، وليسلطن الله عليكم أعداءكم .. أيها المسئولون : رحمة ورأفة بنا .. قوموا هؤلاء الجهلاء ، حتى لا يفتن الناس بهم ، إياكم أن تساعدوا مبتدعًا ، أو تنزلوه منازل الشرفاء ، ففى ذلك حرب على الإسلام ، فما رأيكم فيمن يحارب الإسلام ؟ .

أيها المسلمون اقضوا على كل بدعة ، وأقيموا كل سنة ، وتوبوا إلى الله لعلكم تفلحون يقول ﷺ : « **البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان** » . أو كما قال : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ...

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين .. وأشهد أن لا إله إلا الله .. الملك الحق المبين . وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون : ومن البدع زيارة الأضرحة بقصد نيل البركة والتبرك بها خاصة الذين يزورونها من أماكن بعيدة ويشدون الرحال من أجلها ، يقول رسول الله ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى** » . بل عود نفسك على زيارة مقابر المسلمين لأخذ العبرة ، والاستعداد ليوم الرحيل . أما إذا كنت بجوار ضريح معين لقضاء مصلحة أو لغيرها فزره على سبيل التذكار ولا تطف حوله كما يفعل الجهلاء ، بل اجعله مقبرة دفن فيها أحد المسلمين . وعند الأضرحة تجد العجب العجاب ، تجد بعض الناس يضعون الشمع والمناديل على مقامات الأولياء فينبغى أن يعرف : « أن الإسلام لا يعرف شيئًا يقال له « مقامات الأولياء » سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات ، وإنما يعرف كما يعرف الناس أن لهم قبورًا ، وأن قبورهم كقبور سائر موتى

المسلمين ، يحرم تشييدها ، وزخرفتها ، وإقامة المقاصير عليها ، وتحرم الصلاة فيها والتعلق بها ، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها ، وإيقاد للشموع أو ثريات حولها - وكل ذلك - مما ترى ويتهافت الناس عليه ، ويتسابقون فى فعله على أنه قربة لله أو تكريم للولى هذا خروج عن حدود الدين ، وارتكاب لما حرمه الله ، ورسوله فى العقيدة والعمل ، وإضاعة للأموال فى غير فائدة ، وسبيل للتغرير بأرباب العقول الضعيفة ، واحتيال على سلب الأموال بالباطل[1] .

أيها المسلمون انبذوا كل بدعة ، واقبلوا كل سنة ، **ولا تنظروا إلى شرار المجتمع** من المستهزئين الضالين ، قبل أن تحاسبوا أمام الله ، وتشهد عليكم أرجلكم وأيديكم .. أما علمت عبد الله أنك ستحاسب على كل صغيرة وكبيرة .. اسمع إلى العز بن عبد السلام وهو يقول : **(عندما خلق الله الإنسان خلقه كمملكة ، وجعل عليها ملكا ألا وهو العقل ، وأجلسه على كرسى ألا وهو القلب ، وجعل له خدمًا ألا وهن الجوارح . فقال اللسان : أنا الترجمان ، وقالت العينان : وأنا المبصرتان ، وقالت الأذنان : وأنا الجاسوستان ، وقالت اليدان : وأنا البطاشتان، وقالت الرجلان: وأنا الساعيتان. وهنا قال صاحب الديوان: كما تدين تدان).**

فاتقوا الله عباد الله ، وأكثروا الصلاة والسلام على سيدى رسول الله خاصة ليلة الجمعة ويوم الجمعة .. فإنى علمت أن المسلم إذا صلى على النبى ﷺ من غير ليلة الجمعة ويوم الجمعة أخذ ملك هذه الصلاة إلى الحبيب المصطفى محمد أما ليلة الجمعة ويوم الجمعة فإنها تصل مباشرة إليه وهو القائل : **« صلوا على فإن صلاتكم تبلغنى »** . قالوا كيف يا رسول الله وقد أرمت ؟ قال : **« إن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء »** .

اللهم أحسن ختامنا ، وآمن روعاتنا ، وول أمورنا خيارنا ، ولا تول أمورنا شرارنا ، واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير ، واجعل الموت ، راحة لنا من كل شر .. اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك .. اللهم ارزقنا العفاف والتقى .. اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنا إلى حبك ، وحب نبيك المصطفى ﷺ .

عباد الله ... « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . وأقم الصلاة ...

* * *

(١) فتاوى للشيخ محمود شلتوت .

١٢ - الرزق الحلال والقناعة

الحمد لله رب العالمين ... الذى أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأيده بعزيز نصره فى بره ، وبحره ، أحمده على ما أنعم به وأولى ، وأشكره فهو بالشكر أحرى وأسأله أن يجنبنا موارد الظالمين ، وأن يجعلنا عند سكرة الموت ، ووحشة القبر ، ووقفة الحساب من الآمنين ...

وأشهد أن لا إله إلا الله .. هو الرزاق ذو القوة المتين القائل : **﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ۝ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾** [الذاريات : ٢٣] .

حاسبت نفسى ، لم أجد لى صالحا   إلا رجائى رحمة الرحمن
ووزنت أعمالى على ، فلم أجد   فى الأمر إلا خفة الميزان
وظلمت نفسى فى فعالى كلها   ويحى - إذن - من وقفة الديان
يا أيها الإخوان إنى راحل   مهما يطل عمرى فإنى فان
يا رب : إن لم ترض إلا ذا تقى   من للمسىء المذنب الحيران

وأشهد أن سيدنا وحبينا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد . عبده ورسوله ، هدى به إلى الطريقة المثلى ، ومحاربة ضلال الجاهلية الأولى ، حتى صارت كلمته العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين كانوا للدين أثبت عماد ، وللرسول أقوى عتاد ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون ...

أما بعـد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون : أحباب الحبيب المصطفى محمد ... خلق الله العالم بمنتهى الإحكام ، وأبدع فى صنعه ذروة الإبداع ، وجعل الإنسان خليفته فيه ، وسخر له المخلوقات ، ليقوم بعبادته ، ولما كان أمر الرزق أمرًا يأخذ من الإنسان جهده وعقله ووقته ، فقد أكد الله سبحانه ضمانه للرزق فقال :

﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ۝ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ [الذاريات : ٢٣] .

وقد أراد نبى الله سليمان عليه السلام أن يتولى رزق بعض المخلوقات ولكن المولى سبحانه

أعلمه أنه لن يستطيع ذلك ، فقال : ولو رزق نملة ، قال : لك ما شئت . فأخذ سليمان نملة ووضعها فى زجاجة ، وقال لها : كم تأكلين فى العام ؟ قالت : آكل حبتين من القمح ! فوضع لها حبتين ، ومضى عام فنظر إليها فوجدها قد أكلت حبة ، وأبقت على الأخرى ، فقال لها : أيتها النملة ألم تخبرينى أنك تأكلين كل عام حبتين من القمح ؟ فلماذا أكلت حبة واحدة . قالت له : يا نبى الله سليمان ؛ كنت آكل حبتين متيقنة أن الله الرزاق سيبعث إلى بغيرهما ولكننى لما علمت أنك الذى توليت رزقى خفت أن تنسانى ، فأكلت حبة ، وادخرت الحبة الأخرى للعام القادم ! .

عبد الله .. إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله .

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك فى الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة ... إلا بإذن الذى سواك من طين
فلا تصاحب غنيًا تستعز به ... وكن عفيفًا وعظم حرمة الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه ... فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك ... كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

أما عملك فهو التوكل الصحيح ، والأخذ بالأسباب ، والسعى فى مناكب الأرض ، والبحث عن رزق الله الحلال . ويوضح ذلك ما قاله الرسول ﷺ : **« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا »** .

أما التواكل ، والتكاسل عن العمل ، فليس من الإسلام فى شىء ، فالإسلام إنما يدعو إلى الجد فى العمل ، وطلب الرزق بالسواعد القوية ، ولا يدعو إلى التواكل أبدًا .

وتزداد المصيبة خاصة فى هذه الأيام ، حينما يكثر المتسكعون فى الطرقات ، الذين يسألون الناس ، ويجدون فى ذلك راحة لأبدانهم ..

والواجب على أولى الأمر أن يوفروا لهم أعمالا مناسبة ، وأظنها كثيرة وإن لم يفعلوا ينالوا عقابًا رادعًا . انظر إلى الصالحين ، والمسلمين الأول ، ماذا كانوا يقولون :

لحمل الصخر من قمم الجبال ... أحب إلى من منن الرجال

وقضية أخرى شغلت الكثير عن ذكر الله رب العالمين ، وهى حب المال المتزايد الوفير وكنزه ، وبعدهم عن القناعة . فالإنسان القنوع ، يكون مستريح البال ، هادىء الضمير ، وغيره يكون مضطرب النفس ، وربما هلك ببعده عن القناعة .. انظروا إلى رسول الله ﷺ حينما يقول: **«طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافًا [illegible]ـه الله بما أتاه».**

وللصالحين فى هذا المجال سلوك يقتدى به فقد قال أحدهم :

وجدت القناعة أصل الغنى ... فصرت بأذيالها ممسك
فلا ذا يرانى على بابه ... ولا ذا يرانى به منهمك
فعشت غنيًا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

ولله در من قال :

أمت مطامعى فأرحت نفسى ... فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتًا ... ففى إحيائه عرضى مصون

أيها المسلمون : والقضية الأخيرة هى ملء بعض الناس لبطونهم ، وعدم اتباعهم فى ذلك أوامر الإسلام .. ولو اتبعوها لعاشوا فى رغد من العيش ولكنهم تنحوا عنها ، فأصابتهم الأمراض الفتاكة .. (مما لا شك فيه أن الطعام ضرورى لحفظ الجسم وتعويضه ما يفقده من أنسجته بالعمل وليخلق فيه الحرارة اللازمة له والإفراط فيه وفى كل شىء مضر ولقد نهانا القرآن عن الإسراف عامة فقال :

﴿ ولا تبذر تبذيرًا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

والإسراف فى الطعام يسبب ما يسمى بالأمراض المزمنة ، وربما سبب العلل المستعصية ، فتسوّد الحياة أمام الإنسان ، ويثقل العيش ، ويصبح باطن الأرض خيرًا له من ظاهرها .. لما يلاقيه من ألم حاد .

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

وإن من يصاب فى صحته بالإسراف فى الطعام يحرم من متاع الدنيا ،

وكم من لقمة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وبعض المسرفين يصاب بعوارض وقتية كالتخمة ثم يسعى للخلاص منها بالمخففات والمسهلات ولو سألتهم الشفقة على بطونهم لاحتجوا بأن الطعام كان طيبًا .

توقى الداء خير من تصد ... لا يسره وإن قرب الطبيب

ولو وعى الإنسان الحديث النبوى وهو : **« ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »** .

لعاش سعيدًا مسرورًا بصحته . وقيل إن الإمام الغزالى ذكر هذا الحديث أمام فيلسوف فقال : ما سمعت فى الطب كلامًا أحكم من هذا وقال القرطبى : لو سمع أبقراط القسمة

لعجب من هذه الحكمة . وبعض الذين ذاقوا نوعًا من الأمراض يحافظون على صحتهم كثيرًا والصحة هى الحياة ، وهى كما يقولون تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى ، وقد سأل رجل النبى ﷺ : ماذا يدعوا بعد الصلاة ؟ فقال له النبى ﷺ ، **« سل الله العافية »** .

وبعض الناس من ذوى العقول الضعيفة يظنون أن كثرة الأكل ، وأن بدانة الجسم ترجع إلى الصحة ، وربما كانت البدانة ضعفًا لا صحة . لعلك أخى تلاحظ أن كثيرًا من الذين يسرفون فى الأكل ، ويتمتعون بأجسام غليظة لا يتصفون بعقل ولا بذكاء ، ويصدق عليهم المثل : **(منزل عامر ، وعقل خراب)** .

إذا كان الفتى ضخم المعالى   فليس يضره الجسم النحيل
تراه من الذكاء نحيف جسم   عليه من توقده دليل
لا بأس بالقوم من طول ومن قصر   جسم البغال وأحلام العصافير

والعبرة فى الطعام بالهضم لا بالأكل ، ومن الخير ألا يمدح إنسان أكولا يشبه الحيوانات التى لو لم تشتغل بالأكل لاشتغلت بالاجترار ولقد قال العلماء : (لا يعيش الإنسان مما يأكله بل مما يهضمه ، وهذا المبدأ يتناول الفكر والجسم على السواء) . وإن المعتدلين فى الطعام ليشعرون بوفرة الصحة وبالنشاط الجسمى والفكرى ، وللمعدة مقدار من الطعام فإن جاوزه الآكل فقد أدخل معه ألمًا وقد قال النبى ﷺ : **« لا تميتوا القلب بكثرة الأكل والشرب ، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء »** .

أيها المسلمون .. فحذار من كثرة الطعام فإنه يدعو إلى الكسل والنوم ..ولقد صدق الرسول ﷺ حينما قال : **« إياكم والبِطْنة ، فإنها مفسدة للدين ، مورثة للسقم ، مكسلة عن العبادة »** . أو كما قال ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ... ولى الصالحين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ... الملك الحق المبين ..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين ... ﷺ وبارك على هذا النبى التقى البهى المكى القرشى الزمزمى الكريم وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ..
وبعد : أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .. وإن دعا الإسلام إلى التخفيف فلم يدع إلى اجتناب التمتع بالطيبات مما خلق الله تعالى فقال : **﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾** [القصص : ٧٧] .

وقال فى حق الذين حرموا على أنفسهم الطيبات والنساء :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ [المائدة : ٨٧] .

ولقد كان كثير من الزهاد يحرمون على أنفسهم أكل المباح حتى لا تطمع النفس وحتى لا تتسلط عليه ..

والنفس كالطفل إن تهمله شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ومن هؤلاء أبو حزم رضى الله عنه فقد كان يمر على الفاكهة فتشتهيها نفسه فيقول : « موعدك الجنة » . ومنهم من يترك الإفراط جانبًا ، والتحريم جانبًا ، ويتوسط فى مأكوله ومشروبه ..

وروى عن النبى ﷺ أنه كان يتناول أطعمة مختلفة حتى لا تتعب المعدة ، وحتى لا تمل النفس ، وكان يحب الحلوى واللحم ويقول إنه يقوى السمع وهو سيد الأطعمة ، وكلنا نعلم أن الدين الإسلامى لا تشدد فيه ، وقد نهى عن الوصال بين صوم يومين حتى لا يضعف الجسم ...

وللإمام الغزالى أقوال كثيرة فى الطعام ومنها : **(والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ، ومنبت الأدواء ، والآفات ، إذ يتبعها شهوة الفرج ، وشدة الشبق إلى المنكوحات .. ويجب كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام)** .

ويقرر كثير من الأطباء بأن الإفراط فى الطعام جرح دامٍ فى جسم الإنسان وإنى أستطيع أن أؤكد أنه يقتل يوميًا أكثر مما يقتل السل والسرطان ، وأنه غالبًا سبب هذين الداءين .. والمفرطون فى الطعام ليسوا بالضرورة ممتلئين شحمًا ، فمنهم من يكون على العكس ضعيف الجسم ، ورغم ذلك ترى الناس يحسدون البدين ، ويرحمون النحيف ، وقال الأطباء (الحياة ليست بقصيرة ولكننا نقصرها بأيدينا بكثرة الأكل) .

ولقد حدثنا الجاحظ كثيرًا عن الأكولين وكذلك ابن طغيور عن وزير المأمون أحمد بن خالد الذى رتب له المأمون ألف درهم فى اليوم لمائدته حتى لا يشره إلى طعام أحد من بطانته أو من طعام الناس ، وإن المخفف فى أكله يكون طيب نفسه ولنا فى قول رسولنا الكريم أسوة حسنة .... **(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)** .

كم دخلت أكلة حشا شره   فأخرجت روحه من الجسد
لا بارك الله فى الطعام إذا   كان هلاك النفوس فى المعد

ولقد جمع القرآن الطب فى جملة قصيرة هى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ [الأعراف : ٣١].

أيها المسلمون .. عليكم باتباع ما أمر به الإسلام حتى تكونوا أصحاء ، سعداء آمنين ، فاطلبوا الرزق الحلال الطيب ، وإياكم والحرام ، وعودوا أنفسكم القناعة ، وإياكم والطمع ، وازهدوا فيما فى أيدى الناس حتى يحبوكم ، ولا تملئوا بطونكم من الطعام .. حتى لا تصابوا بالأمراض ، وتقدروا على عبادة الله رب العالمين ، فيكتب لكم الفوز فى الدنيا والآخرة، اللهم أصلح فساد قلوبنا ، وانزع الغل والحسد من صدورنا وأصلح ذات بيننا ، اللهم اجعلنا تائبين لك ، منيبين إليك يارب العالمين .. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك قريب مجيب الدعوات مولانا ورب العالمين عباد الله : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ .

اذكروا الله العظيم يذكركم .. وأقم الصلاة ...

* * *

١٣ - حول الغناء والشعر

الحمد لله... العليم بذات الصدور ، المحيط بما يجرى فى الكون من شئون وشجون وأمور .. سبحانه لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم .. يا الله .. نسألك شفاء من كل داء ، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، والطف يا الله فيما جرت به المقادير ، آمين .. **وأشهد أن لا إله إلا الله** : لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ..

لما خلق الله الدنيا استحضرها بين يديه ، ووجه إليها سؤالا قال فيه : أيتها الدنيا : من أنا ؟ قالت له : أنا ، قال من أنا : قالت أنا ، فأجاعها مائة عام ثم استحضرها وقال لها من أنا : قالت له : أنت الله .. فعرفت بالتكبر ، وأصبح من سماتها التغطرس .

عبد الله ، إياك والدنيا ، اسمع لقول الله وقول رسوله ، وانبذ الفتن .

عبد الله :

لا تركنن إلى القصور الفاخرة ... واذكر عظامك حين تمسى ناخرة
وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل ... يا رب إن العيش عيش الآخرة

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا ... خاتم الأنبياء وسيد الأولين والآخرين ، اصطفاه الله . ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فقد بين ووضح فقال : **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به)** .

فصلى الله عليه وعلى أصحابه وأتباعه وذريته أجمعين .. وبعد :

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .. سادت الفوضى بين الناس ، فأصبحوا لا يفرقون بين الصواب والخطأ ، وبين الحلال والحرام ..

فولع قومنا بالغناء ، وكرموا أهله ، وأنزلوهم منازل الشرفاء ، وهم الفاسقون الذين يجمعون الناس على موائد الفسق والضلال ، تحت ستار ما يسمى (بالفن) فقد انتكست عندهم موازين الأخلاق ، فصاروا يسمون الزنا الذى حرمه الله حبًا ، والهمجية حرية ، والرقص والغناء فنًا ، والدعارة حضارة .. وأصبح من يخلعن برقع الحياء ، ويظهرن كاسيات عاريات مكرمات غاية التكريم .. ولذلك فقد امتلكن العربات الفاخرة والقصور الشامخة ، وعندهن الملايين ولا أبالغ فى الأموال .. التى جاءت بغضب الله الكبير المتعال .. فى الوقت

نفسه تجد الذين ألزموا أنفسهم حدود الله ، وعودوها على سنة الله ورسول الله يضامون ويعذبون ، ويسجنون، ويضربون ويوصفون بأقذر الصفات، وينزلون أحط المنازل.. فلننتظر غضبًا من الملك العلام.. إن لم نعد إليه ونصلح حالنا، ونحل ما أحله الله، ونحرم ما حرمه الله..

اسمع إلى الأئمة الفضلاء ماذا يقولون فى أمر الغناء .. فهذا ابن القيم يقول : (ومن مكايد الشيطان ومصائده التى كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء « أى ما يشبه الصفير » والتصدية « أى التصفيق » ، والغناء بالآلآت المحرمة ، التى تصد القلوب عن القرآن ، ويجعلها عالقة على الفسوق والعصيان . فهو قرآن الشيطان . والحجاب الكثيف عن الرحمٰن . وهو رقية اللواط والزنا . وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غلة المنى . كاد به الشيطان النفوس المبطلة . وحسنه لها مكرًا منه وغرورًا . وأوحى إليها الشبه العاطلة على حسنه فقبلت وحيه ، واتخذت لأجله القرآن مهجورًا . فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات . وهدأت منهم الحركات . وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وانصبت انصبابة واحدة إليه . فتمايلوا له ، كتمايل النشوان ، وتكسروا فى حركاتهم ورقصهم ، أرأيت تكسر المخانيث ؟ : (أى جمع الخنثى وهو الذى له ما للرجال والنساء جميعًا) والنسوان ؟ . ويحق لهم ذلك ؟ وقد خالط خماره النفوس ، ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكؤوس . فلغير الله .. بل للشيطان ، قلوب هناك تمزق ، وأثواب تشقق .. وأموال فى غير طاعة الله تنفق .. حتى إذا عمل السكر فيهم عمله .. وبلغ برجله وخيله .. وخز فى صدورهم وخزًا .. وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزًا ، فطورًا يجعلهم كالحمير حول المدار . وتارة كالدواب ترقص وسط الديار ، فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام ويا سوأتًا من أشباه الحمير والأنعام ويا شماتة أعداء الإسلام .. بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام ، قضوا حياتهم لذة وطربًا ، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً .. مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن . لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك ساكنًا .. ولا أزعج له قاطعًا . ولا أثار فيه وجدًا . ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زندًا حتى إذا تلى عليه قرآن الشيطان . وولج مزموره سمعه تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينه فجرت . وعلى أقدامه فرقصت ، وعلى يديه فصفقت ، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت ، وعلى أنفاسه فتصاعدت ، وعلى زفراته فتزايدت ، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت .

فيا أيها المغنى المفتون ، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون ، هل كانت أشجان المغنى عند سماع القرآن ؟ وهذه الأزواق والمواجيد ، عند قراءة القرآن المجيد ؟ وهذه الأحوال السنيات عند تلاوة السور والآيات ؟ ولكن كل امرىء يصبو إلى ما يناسبه ، ويميل إلى ما يشاكله ، والجنسية علة الضم قدرًا وشرعًا .. (أى اجتماع الشر إلى الشر) .

والمشاكلة سبب الميل عقلا وطبعًا ، فمن أين هذا الإخاء والنسب ؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب ، ومن أين هذه المصالحة التى أوقعت فى عقد الإيمان وعهد الرحمن خللا ؟ ..

﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾ [الكهف: ٥٠] .

ولقد أحسن القائل :

تلى الكتاب فأطرقوا ، لا خيفة   لكنه إطراق ساه لاه
وأتى الغناء ، كالحمير تناهقوا   والله ما رقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن   فمتى رأيت عبادة بملاهى ؟
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا   تقييده بأوامر ونواهى
سمعوا له رعدًا وبرقًا ، إذ حوى   زخرًا وتخوينًا بفضل مناهى
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن   شهواتها ، يا ذبحها المتناهى
وأتى السماع موافقًا أغراضها   فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع   أسبابه ، عند الجهول الساهى ؟
إن لم يكن خمر الجسوم ، فإنه   خمر العقول مماثل ومضاهى
فانظر إلى النشوان عند شرابه   وانظر إلى النسوان عند الملاهى
وانظر إلى تمزيق ذا لشيابه   من بعد تمزيق الفؤاد اللاهى
واحكم فأى الخمرتين أحق بالتحـ   ـريم ، والتأثيم عند الله ؟

أيها المؤمنون أحباب المصطفى محمد . وقد ألقى الفقيه أبو بكر الطرطوشى خطبة فى تحريم السماع قال فيها : (الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ونسأله أن يرينا الحق حقًا فنتبعه ، والباطل باطلا فنجتنبه . وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا أوقعها ؟ ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها ، ثم كثر الجهل ، وقل العلم ، وتناقص الأمر ، حتى صار أحدهم يأتى المعصية جهارًا ، ثم ازداد الأمر إدبارًا ، حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين – وفقنا الله وإياهم – استذلهم الشيطان ، واستغوى عقولهم فى حب الأغانى واللهو ، وسماع الطقطقة والنقر ، واعتقدته من الدين الذى يقربهم إلى الله ، وجاهرت به جماعة المسلمين ، وشاقت سبيل المؤمنين ، وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥] .

* * *

أيها الأخوة المسلمون : (الغناء يلهى القلب عن التفكير فى عظمة الله سبحانه والقيام لخدمته ، ويجعلك أخى تميل إلى اللذات العاجلة التى تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية) .

ومعظمها النكاح ، وليس تمام لذته إلا فى المتجددات ، ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل، فلذلك يحث على الزنا، فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس، ولهذا جاء فى بعض الأخبار: **(الغناء رُقية الزنا)**.

وقد ذكر أبو جعفر الطبرى : أن الذى اتخذ الملاهى رجل من ولد قابيل يقال له ثوبان : اتخذ فى زمن مهلائيل ابن قينان الآت اللهو من المزامير والطبول والعيدان ، فانهمك ولد قابيل فى اللهو ، وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث ، فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور . وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو إلى الالتذاذ بغيره خصوصًا ما يناسبه ولما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئًا من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فدرجه ضمن الغناء بغير العود ، وحسنه لهم ، وإنما مراده التدرج من شيء إلى شيء والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد .

أيها المؤمنون : فحذار أن يفتنكم الشيطان ، ويغويكم ، وهو الذى قال لرب العالمين : **(فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)** .

فهو يغوى الإنسان بكثير من فتونه ومنها الغناء ، وإذا نظرت إلى الذين يستمعون الغناء تراهم قساة القلوب لا يؤثر فيهم ذكر الله ، ولا تهزهم كلمات التوحيد . وصدق القائل حينما قال :

يميت الفؤاد الحى دائم خلطه   لأنثى وعصيان وحمقى ومترف

فاتقوا الله عباد الله وألزموا أنفسكم طاعة الله ، يقول رسول الله ﷺ : « **ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحرَ والحرير والخمر والمعازف** » . (رواه البخارى) .

وقال : « **ليشربن ناس من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير** ».

أو كما قال .. ادعو الله ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ... ولى الصالحين .. **وأشهد أن لا إله إلا الله ...** الملك الحق المبين .. **وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين ...**

وبعد : أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .. ولأئمة الفقه الإسلامى قول فى الغناء . فالإمام مالك نهى عن الغناء ، وعن استماعه ، وقال : (إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب) .

وسئل مالك رحمه الله « عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ . فقال : إنما يفعله عندنا الفساق ».

وقال الإمام أبو حنيفة : فإنه يكره الغناء ، ويجعله من الذنوب .

وكذلك مذهب أهل الكوفة : سفيان ، وحماد ، وإبراهيم ، والشعبى ، وغيرهم ، لا اختلاف بينهم فى ذلك ، ولا نعلم خلافًا أيضًا بين أهل البصرة فى المنع منه .

ومذهب الإمام أبى حنيفة من أشد المذاهب نهيًا عن السماع ، وأقواله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهى كلها ، كالمزمار ، والدف ، حتى الضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية ، يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا : إن السماع فسق ، والتلذذ به كفر . وأما الإمام الشافعى فقال : (إن الغناء لهو مكروه ، يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته) .

وأما الإمام أحمد ، فقد قال عبد الله ابنه : (سألت أبى عن الغناء ، فقال : الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل ، لا يعجبنى) .

ثم ذكر قول مالك : (إنما يفعله عندنا الفساق) .

ونص على كسر الآت اللهو وغيره ، إذا رآها مكشوفة ، وأمكنه كسرها ، وعنه فى كسرها إذا كانت مغطاة تحت ثيابه ، وعلم بها روايتان منصوصتان . ونص فى أيتام ورثوا جارية مغنية ، وأرادوا بيعها ، فقال : لا تباع إلا على أنها ساذجة فقالوا : إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفا أو نحوها وإذا بيعت ساذجة لا يساوى ألفين : لا تباع إلا على أنها ساذجة ، ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الأيتام . هذا هو الغناء أيها المؤمنون ، فما عليكم إلا نبذه ، والبعد عنه ، واشغلوا أنفسكم بذكر الله والقرآن ولا تعبأوا بهؤلاء السفهاء الذين يزينون الفجور والعصيان .

أما الشعر فإن الرسول ﷺ قال : « **إن من البيان لسحرًا** » .

وقال : « **إن من الشعر لحكمة** » .

وقد كان لرسول الله ﷺ خادم يقال له : (أنجشة يحدوا فتعدو الإبل) .

فقال رسول الله ﷺ : « **يا أنجشة رويدك بالقوارير** » .

وكان شعرهم حثًا على الطاعة ، ونهيًا عن المعصية ، وترغيبًا فى الفضائل وترهيبًا عن فعل الرذائل .. ودعاء واستغفارًا .. وهذا لا مانع فيه شرعًا ، انظر إليهم وهم يقولون .

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ولكن الذين يستغلون الشعر فى فتنة الناس ، وإبعادهم عن ربهم كالغزل ، ووصف النساء بالألقاب يلقون ربهم يوم القيامة وسيلقون العذاب وقد قال مولانا فيهم : ﴿**الشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون**﴾ [الشعراء : ٢٢٤-٢٢٦] .

ففروا إلى الله أيها المسلمون ، وانهجوا نهج رسولكم وذموا البدع والمبتدعين وابتعدوا عن الغناء والخلاعة ، والموسيقى .. وما أشبه ذلك .. واعلموا أن ما عند الله خير وأبقى .. فكفى الأمان هنا والاطمئنان يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، اللهم من أراد بالمسلمين فتنة فخذه أخذ عزيز مقتدر يا قوى يا متين . عباد الله ..

﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ وأقم الصلاة .

* * *

١٤ - الإسلام ومشكلة الزواج

الحمد لله رب العالمين ... لا إله غيره ، ولا رب سواه ، أسألك يا الله أن تجنبنا موارد الظالمين ، وأن تجعلنا يا الله عند سكرة الموت ووحشة القبر ، ووقفة الحساب من الآمنين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ...

وحده لا شريك له فى سلطانه ، ولا مناوىء له فى علو شأنه .. العزيز الذى لا يغلب ولا يذل ، والدائم فكل ما سواه زائل مضمحل ، يقبل تائبًا ، ويعطى محرومًا ، ويغيث لهفانًا ، ويفقر غنيًا ، ويغنى فقيرًا ، ويهلك ظالمًا ، ويرفع أقوامًا ويخفض آخرين ، ما للعباد عليه حق واجب ، إن عذبوا فبعدله وأن نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع .. **وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد** .

ابتعثه الله رحمة للعالمين ، وحجة للمرشدين ، وحجة للمسترشدين ونقمة على الكافرين ، وقامعًا للملحدين ، وسيدًا للأولين والآخرين .. النبى الأمى الذى علم المتعلمين ، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط ، ومعترك الأمواج إلى شاطىء الله رب العالمين .. اللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود ، وجلاء النفوس ، وذهاب الهموم ونور الأبصار ، وغذاء الأرواح ... محمد .

وبعد ... فلقد قال المولى سبحانه :

﴿ **وأنكحوا الأيامى منكم** ﴾ [النور: ٣٢] .

وقال : ﴿ **فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن** ﴾ [البقرة: ٢٣٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » .

وقال ﷺ : « **النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى** » .

أخى المؤمن : نحن فى زمان كثرت فيه الفتن والأهواء ، فمن أراد أن يحفظ نفسه ويصونها عن فعل الحرام فليتزوج . وعليك أخى أن تكون بسيطًا فى زواجك ، وأن تختار ذات الدين ، حتى تستطيعا معًا أن تكونا عش الزوجية بأقل التكاليف ، بعيدًا عن المظاهر ، وخداع النفس . وقد قال عالم جليل .

يا طالب الخليلة عليك بالأصيلة

من أمها مهذبة — فى قومها مؤدبة
تقول آت النار — ولست آت العار
لها أب يحاكى الأسد — مؤديًا حق الصمد

وإياك أن ترغب عن الزواج بحجة أو بأخرى فقد ورد فى الأثر عن ابن عباس رضى الله عنه : « لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ».. يحتمل أنه جعله من النسك أو تتمة له أراد أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج ، ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب .

وكان رضى الله عنه يجمع غلمانه لما أدركوا ، ويقول : « إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى زنية خرج نور الإسلام من قلبه » .

وعليك أخى أن تختار زوجتك بخصال عرفت عن أهل الفقه وهى الدين - الخلق الحسن - خفة المهر - البكارة - النسب .

الأولى أن تكون ذات دين : فهذا هو الأصل وبه ينبغى أن يقع الاعتناء ، فإنها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفرجها ، أزرت بزوجها ، وسودت بين الناس وجهه ، وشوشت بالغيرة قلبه ، وتنغص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء ، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونًا بدينه وعرضه ومنسوبًا إلى قلة الحمية والأنفة .. وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشًا معه ، فإن سكت ولم ينكره كان شريكًا فى المعصية مخالفًا لقوله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارًا** ﴾ [التحريم : ٦] .

وإن أنكر وخاصم تنغص العمر - ولهذا بالغ رسول الله ﷺ فى التحريض على ذات الدين فقال : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** » .

الثانية حسن الخلق : فإنها إن كانت سليطة بذيئة اللسان كافرة بالنعم كان الضرر فيها أكثر من النفع ، والصبر على لسان النساء مما يمتحن به **الأولياء** .

الثالثة حسن الوجه : فذلك أيضًا مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفى بالدميمة غالبًا ، وإياك أن تختارها ذات جمال فقط ، ولا تنظر إلى الدين .. ويعنى حسن الوجه أن تكون غير دميمة ، فهناك إنسان جميل المنظر ولكن لا تقبله النفوس . وربما كانت غير واضحة الجمال ، ولكنها مقبولة الشكل .

الرابعة أن تكون خفيفة المهر : فقد نهى عن المغالاة فى المهر ، وتزوج الصحابة على نواة من ذهب يقال (كانت) قيمتها خمسة دراهم ، وزوج سعيد بن المسيب ابنته من عبد الله بن

أبى وداعة على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا ، فأدخلها من الباب ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها .

الخامسة أن تكون بكرًا : فقد قال رسول الله ﷺ لجابر وقد نكح ثيبًا : « **هلَّا بكرًا تلاعبها وتلاعبك** » .

السادسة أن تكون نسيبة : أى ذات دين من أهل بيت الدين والصلاح حتى تربى أبناءها على مبادىء الإسلام .

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ... ويحدث فى هذه الأيام الكثير من المفاسد ، والحوادث المخالفة لأوامر الإسلام التى لو توقف الناس عنها لجنبوا أنفسهم وبلادهم شر هذه الحوادث . فهناك أحكام يجب أن تلزمها بعد الخطبة وقبلها . ومنها إباحة رؤية الخاطب مخطوبته ، والحث على هذه الرؤية ، وإباحة تكرر هذه الرؤية إذا لم تكف المرة الواحدة حكم صحيح ، وغنى عن البيان أن الوصف لا يقوم مقام الرؤية ، والمشاهدة ، ولا يكفى لإعطاء صورة صحيحة صادقة يمكن الاكتفاء بها عن الرؤية فضلا عن أن ما يستحسنه إنسان قد لا يستحسنه غيره ، ولا تميل إليه نفسه ، وهذه الرؤية كما تفيد الخاطب تفيد المخطوبة .

خطب المغيرة بن شعبة امرأة فقال رسول الله ﷺ : « **أنظرت إليها** » قال لا فقال عليه الصلاة والسلام : « **انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** » وقد أباحت الشريعة أن تتم الرؤية بشرط ألَّا يخلو الخاطب بمخطوبته إلا إذا كان معهما محرم لها من أب أو عم أو أخ أو خال ، ولم تبح الشريعة أن تتم الخلوة بين الخاطب بمخطوبته بدون حضور أحد محارمها ، وبالأولى لم تبح الاختلاط قبل عقد الزواج لما قد يترتب على ذلك من مفاسد ، فكانت الشريعة وسطًا بين المتزمتين الذين لا يبيحون الرؤية أصلا وبين من يبيحون الاختلاط والاختلاء بدون قيد ولا شرط زاعمين ضرورة اجتماع الخاطب بمخطوبته وقتًا كافيًا ليبلو كل منهما صاحبه ، وليقف على دخيلة نفسه وهذا الفريق لم يلق بالا إلى نتائج ذلك ولم يكترث إلى ما قد ينجم عن مآسى الحوادث وأكدتها الإحصائيات فكم من فتاة انزلقت لمجرد وعد أكده الرجل بالزواج ، ثم بعد أن يقضى منها مآربه ينتقل منها إلى غيرها ، وهكذا ولا تجد الفتاة إلا أن تندب حظها حيث لا ينفع الندم ، فالدنيا مملوءة بالذئاب التى تلبس ثوب الإنسان . فهل صحيح أن هذا الاختلاط يثمر شيئًا ، الواقع أن كلا من الخاطب ومخطوبته يجتهد فى أن يظهر للآخر بصورة تميله إليه وترغبه فيه ، فيتصنع كل منهما للآخر ، وإذا تم الزواج ظهر فى ثوبه الحقيقى ، وكشف عن حقيقة نفسه ، وإذا كانت الشريعة قد أباحت رؤية الخاطب لمخطوبته مقيدة بهذه القيود فإنها سلكت فى ذلك سبيل الحكمة والحزم والسداد ، وسدت الذرائع إلى الفساد .

وقد يقال : لكن تربية المرأة تكفى لصيانتها وحفظها فى دور الخطوبة ونحن لا نعارض فى أن ذلك قد يتحقق فى بعض الفتيات ، لكن الأغلبية العظمى لا يستطعن أن يقاومن رغباتهن ، ودوافعهن ، ولا أن تقاوم إغراءات الفتيان ، فكان الحزم والصواب أن لا يباح الاختلاط ، ولا الخلوة إلا إذا كانت على الوجه الذى رسمته الشريعة . ومن أحكام الخطبة أيضًا التى أمرت بها الشريعة لضمان الوئام ومنع الخصومات ، النهى عن خطبة المخطوبة . فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « **المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر** » ، وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى (رواها البخارى والنسائى وأحمد) .

والحوادث التى تنشرها الصحف تثبت سداد وصواب هذا النهى ، فكثير من حوادث القتل والضرب والاعتداء ، قد يكون سببها التزاحم على خطبة فتاة أو سيدة واحدة .

أيها المؤمنون توبوا إلى الله يصلح لكم أعمالكم ، وييسر لكم أمور الزواج .. آه لو تاب الناس إلى الله ، لما حلت بهم هذه المشكلات التى تراكم بعضها فوق بعض .

أيها الشاب: عف نفسك وطهر قلبك واستعن بالله .. يقول رسول الله ﷺ : « **إن الله ليبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل** » .

أو كما قال .. ادعو الله ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ...

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله .

الملك الحق المبين . **وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين .**

وبعد : أما الزوجة فيجب عليها أن تكون مطيعة لزوجها ، لا تغضبه ، ولا تزعجه حتى تقوم الحياة الزوجية بينهما كما أرادها الله . وقد أوصت أسماء بنت خارجة الفزارى ابنتها عند الزواج بوصية تقول فيها : « يا بنيتى إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عن الزوج ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

يا بنيتى : إنك خرجت من العش الذى فيه عشت إلى فراش لا تعرفينه ، وقرين لا تألفينه،

فكونى له أرضًا ، يكن لك سماء ، وكونى له مهادًا ، يكن لك عمادًا ، وكونى له أمة ، يكن لك عبدًا ، لا تلحى عليه فيقلاك ، ولاتتباعدى عنه فينساك إن دنا منك فاقتربى منه ، وإن نأى فابعدى عنه !

احملى عنى عشر خصال ، تكن لك ذخرًا وذكرًا :

أما الأولى : الصحبة بالقناعة ..

أما الثانية : المعاشرة بحسن الطاعة ..

أما الثالثة : الحفظ لموضع أنفه ، وسمعه ، وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيبًا ، ولا يسمعن إلا حسنًا ، ولا ينظرن إلا جميلا ..

وأما الرابعة : التفهم لوقت طعامه ..

أما الخامسة : الهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السادسة : فالرعاية على عياله وحشمه ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والرعاية على العيال والحشمة حسن التدبير .

وأما السابعة والثامنة : فلا تفشى له سرًا ولا تعصى له أمرًا ، فإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

وأما التاسعة : ثم اتقى مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحًا والحزن عنده إن كان فرحًا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التدبير .

أما العاشرة : وكونى أشد ما تكونين له موافقة ، يكن لك أطول ما يكون مرافقة . واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، فيما أحببت أو كرهت .

وقد قال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المُغَيَّبُ
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباك قلبى والقلوب تُقلَّبُ
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى ... إن اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد . هذا هو الزواج فى الإسلام ببساطته ، وسيولته ، ولو أننا اتقينا الله وراقبناه ، ليسره لشبابنا ، ولكننا عصيناه فسلط علينا المشكلات ، وأزمة الإسكان وصعوبة المهر ناطقة بذلك .

أيها الشباب : إذا أردت أن تتزوج فاتق الله ييسر لك حالك وهو القائل . ﴿ **ومن يتق الله**

يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

وقال : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا ، يرسل السماء عليكم مدرارًا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا ﴾ .

اللهم أصلح أحوالنا ، وثبت أقدامنا وول أمورنا خيارنا ، ولا تول أمورنا شرارنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . عباد الله ..

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ وأقم الصلاة .

* * *

١٥ - خطبة تلقى قبل بداية العام الميلادى

الحمد لله رب االعالمين ...

حمدًا كثيرًا يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده سبحانه أدار الأيام ليتعلم الإنسان ، وأبدع فى الكون ليقر للواحد الديان .

نسألك يا الله أن تصلح أحوالنا ، وأن تجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن تقربنا إليك .. آمين . **وأشهد أن لا إله إلا الله .**

وحده لا شريك له فى سلطانه ، ولا مناوىء له فى علو شأنه القائل .

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ [المائدة : ١٥] .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا رسول الله .

ابتعثه الله رحمة للعالمين ، وحجة للمرشدين ، وحجة للمسترشدين ، ونقمة على الكافرين ، وقامعًا للملحدين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وبعد : أيها المسلمون :

فى الأيام المقبلة سيحتفل النصارى بميلاد نبى الله عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام . ونبى الله عيسى أنزله المولى سبحانه منزلة طيبة وذكره فى القرآن مرارًا ، ورد على النصارى فى تأليههم له ، وعبادتهم إياه .. فالنصارى بزعمهم يريدون أن يغيروا نواميس الكون . وطبيعة الزمان ، يريدون أن يقولوا إن الشمس ساطعة فى منتصف الليل ، ولا يعملون فكرهم فى الأشياء بل عاشوا على ضلالة عمياء ، وأوهام الجهلاء .. ولقد ضرب القرآن مثلا عاليًا فى إظهار عيسى عليه السلام ومكانته وولادته حينما نقش الأمر على مستوى كل العقول البشرية بالوضوح التام ، وضرب الأمثال حينما قال :

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله . وإن الله لهو العزيز الحكيم ، فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ﴾ [آل عمران : ٥٩ - ٦٣] .

وقال : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

أيها المسلمون : لذا فقد قضى الإسلام على التعصب الأعمى ، وجاء بالنقاش الهادىء والحوار الذى يقوم على أساس علمى .. ولا نقول لهم شيئًا فى قضاياهم فسيحاسبون عليها أمام رب العالمين وإنما نتذكر قول القائل :

ليت شعرى ذكر الثلاثة فى الوا حد نقص فى عدكم أم نماء

أإله مركب ما سمعنا بإله لذاته أجزاء

الكل منهم نصيب من الملـ ك فهلا تميز الأنصباء

أتراهم لحاجة واضطراب خلطوها وما بغى الخلطاء

أهو الراكب الحمار فيما عـ جز إله يمسه الإعياء

أم جميع على الحمار لقد جـ ل حمار يجمعهم ويشاء

أم سواهم هو الإله فماذا نسبة عيسى إليه والانتماء

أم أردتم بها الصفات فلم خصت ثلاثة بوصفه وثناء

أم هو ابن ما شاركته فى معانى النبوة والأنبياء

قتله اليهود فيما زعمتم ولأمواتكم به أحياء

عبد الله .. إن الله واحد لا شريك له ، هذا ما تنطق به الدنيا فى كل مكان ، تنطق به الطيور فى عشها والأسود فى عرينها ، والحيوانات فى أوكارها ، والأسماك فى مائها ، والفلك فى دورانها .. ينطق به كل حى ميت ، كل نائم ومستيقظ .. الكون كله .. والعالم كله ينطق بلا إله إلا الله .. كيف يشاركه غيره فى ملكه ، وكيف يقاسمه أحد فى حكمه بل الملك ملكه ، والحكم حكمه ، والأمر أمره .. سبحانه وحده لا شريك له ، ولا ند له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة : ١٧] .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة : ٧٣] .

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] .

﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة

انتهوا خيرًا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابًا أليمًا ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا ﴾ [النساء : ١٧٠- ١٧٣]

أيها المسلمون : ومن التعصب الأعمى للنصارى طريقتهم فى التبشير سواء أكان بالتعنت والقهر ، أو بالجذب والاحتيال أو بالتدليس ، أو بتغيير المفاهيم... الخ .

أيها المؤمنون : (المبشرون هم طلائع الاستعمار وهم عيونه وأرصاده ، مهمتهم الأساسية توطئة ظهورنا لدولهم وشعوبهم وحكوماتهم ثم تحويلنا إلى مطايا يركبونها وأبقار يحتلبونها .. ولقد استطاعوا بالمكر والخديعة ، وتقمص جلود الحملان أن ينزعوا من البلاد الإسلامية فى أقل من نصف قرن ما عجزت الجيوش الصليبية الجرارة عن انتزاع عُشر معشاره فى مائتى عام . يفدون إلينا وتحت مسوحهم نفوس قذرة ، وضمائر خربة ، وقلوب خلت من كل المعانى الإنسانية . ولقد كانوا أساس كل فتنة عمياء حدثت فى البلاد الإسلامية بما أثاروه من نعرات طائفية ، ودعوات شعوبية إقليمية كما كانوا سببًا فى تخلفنا فى جميع المجالات . وهم يزعمون أنهم حملة رسالة المسيح لإدخال العالم فى حظيرة المسيحية ولكن .. هل انتهوا أولا من إعادة مئات الملايين من الملحدين فى البلاد التى قدموا إليها حتى يتفرغوا لنا إن كانوا صادقين فى دعواهم ؟ . وهل تنهال عليهم الإعانات والمساعدات من دول وشعوب تؤمن حقًا بالمسيحية ، وتخضع دساتيرها لتعاليمها التى تقول : (أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم) و (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) فى الوقت الذى نراهم فيه يتفننون فى اختراع أبشع وسائل الفتك والتدمير ، ويتنافسون على ابتلاع خيرات الشعوب ونهب ثرواتها .. والمبشرون يعرفون كساد بضاعتهم . ولذا فهم يعمدون إلى ترويجها بالأساليب الخادعة والوسائل الملتوية ، وخلف واجهات مضللة ، كافتتاح المدارس ، وإنشاء الملاجىء والمستشفيات ، ليصطادوا بها السذج والبسطاء ، وليتخذوا منها فى الوقت نفسه أوكارًا للتجسس وحبك المؤامرات ، ونشر الرذيلة ، ولأنهم وجدوا فى هذه المؤسسات وسيلة من أفضل وسائل الكسب الحرام ، وأسلوبًا من أخبث أساليب النصب والاحتيال .

أيها المؤمنون : أعلنوا لا إله إلا الله .. محمد رسول الله ﷺ فى كل مكان ورددوها واذكروا الله بها ، فأفضل الذكر لا إله إلا الله ... وتوبوا إلى الله لعلكم ترحمون .. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى ... وسلام على الذى اصطفى .. **وأشهد أن لا إله إلا الله** ... الملك الحق الذى لا إله غيره ولا رب سواه ..

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله صلوات ربى وتسليماته عليه .

وبعد : أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .. وهكذا رأيتم طبيعة المسيحية والصليبية وأهدافها ، إنهم فى تناقض رهيب ، يعلنون عن القيم والمبادىء الإنسانية وليس عندهم شىء منها .

فهناك العديد من المذابح والتدمير الجماعى فى بلاد المسلمين لتنصيرهم فى حين أنهم يعيشون وسط المسلمين متمتعين بالأمن الكامل والسلام التام ، فالإسلام قد حفظ لهم كرامتهم ، وصان حقوقهم .. ومع هذا فإنهم فى أساليبهم ماضون .. أيها المسلمون .. وبعد أيام سيحدث ما تعرفه الدنيا إذ يجتمع المسيحيون ويتبعهم جهلة المسلمين للاحتفال بميلاد نبى الله عيسى ابن مريم .. وتطفأ الأنوار فى الساعة الثانية عشرة لتتمكن الشياطين من معصية الله .. ففتحوا بذلك طريقًا إلى الفساد والإفساد .. هل يتفق هذا مع مبادىء الإنسانية ؟ . وأين المسئولون ليوقفوا هذا الهراء ، ويمنعوا ذلك الفساد ..

أيها االمسلمون : حذار من عبث العابثين ، وفساد المفسدين وتضليل المضلين .. اتقوا الله عباد الله قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال وقبل :

﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين﴾ [الزمر: ٥٦، ٥٧]، فيكون الجواب : **﴿ بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾** [الزمر: ٥٩] .

وبعد .. فإنا نسوق لهم حديث رسول الله ﷺ : « **أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ، ليس بينى وبينه نبى ، والأنبياء أخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد** » . رواه أحمد فى مسنده ، والبيهقى فى السنن وكذلك أبو داود ..

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .. عباد الله : **﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .. يعظكم لعلكم تذكرون﴾** وأقم الصلاة .

* * *

ثانيًا

خطب المناسبات

١- ميلاد النبى ﷺ
٢- رجب فى الإسلام (الفرد)
٣- الإسراء والمعراج
٤- الاستعداد لرمضان
٥- الصيام فى الشرع الإسلامى
٦- الهجرة فى الإسلام

خطبة أول ربيع الثانى
خطبة أول رجب
الخطبة الأخيرة من شهر رجب
الخطبة الثانية من شعبان
خطبة أول رمضان
خطبة أول المحرم

١٦ - ميلاد النبى ﷺ

الحمد لله .. أحيا الشعوب بميلاد أنبيائها ، وأسعدها برسالة رسلها ، ورفع قدرها بذكرى هداتها . نحمدك يا الله كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك .. فأنت الله نسألك أن تجعلنا تائبين منيبين إليك يا رب العالمين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ... بعث فينا رسولا يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا . صاحب القدر العظيم . النبى الأمى الذى علم المتعلمين ، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب اليائسين والهدى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط ، ومعترك الأمواج إلى شاطىء الله رب العالمين .

ولد الهدى فاهتزت الدنيا له ... فرحًا وزالت دولة الإجرام
والظلم ولى ما له من وجهة ... والعدل أقبل مفرد الأعلام
والجهل أدبر ما له من عودة ... والعلم جاء ينير كل ظلام
وتقهقرت يا صاح كل رذيلة ... كالوأد والتشريد للآنام
وتألقت كل القلوب مودة ... وتآزرت فى صحبة ووئام

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ذوى الفضل العظيم الذين تشرفوا بصحبته ، وتمتعوا برؤيته ، وآمنوا برسالته فرضى الله عنهم أجمعين : **وبعد : عباد الله :** أجل الذكريات ، وأروع الحفلات ، وأمتع الأحاديث والندوات . يوم ميلاد خير الأنبياء ، وسيد السعداء وصاحب السدرة العصماء ..

سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، خير خلق الله ، فقد كان مولده بشير الخير وسبيل البر ، وباب الرحمة ، رسول المحبة تحدث الوجود عن ميلاده ، وتشرفت الأرض بظهوره واستضاء الكون بنوره ، لأنه أعظم مولود ، وسيد الوجود ، وأفضل موجود ، جاء لهداية البشرية وإحياء الإنسانية وإضاءتها من الظلمات إلى النور ، وإنقاذها من الضلال إلى الهدى .. ففتح الله به الأعين العمى ، والآذان الصم ، والقلوب الغلف ، وحرر الله به العبيد ، وأيقظ الضمير حتى حطموا قيود الاستعباد ، وقاوموا الفساد ، ورفع الله به رأس الإنسان ، وعلم قدره ، وأدرك فضله : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم**

ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم ﴾ [الجمعة : ٢، ٣] .

ولقد اختار الله محمدًا.. من أكرم الآباء ، وأطهر الأمهات ، وانتخبه من أشرف البيوتات . وأجداده جميعًا كانوا سادة، وآباؤه سبقوا إلى القيادة، كانت بيوتهم أمانًا للخائفين ، ومتاعًا للجائعين ، وملاذا للطالبين . وموائدهم لا تطوى في السراء ، ولا فى الضراء ، يحمون حمى الجار ، يعطفون على الضعفاء ، فهم أهل الرأى فى الحرب والسلم ، وأصحاب الكلمة فى الإصلاح ، وهم فى مكة عمداء ، وفى خارج مكة زعماء، الرأى لهم ، والمشورة معقودة بلوائهم ففى هذا الوسط السامى فى الشرف ، وبين تلك الدوحة المتسامية فى النسب وتحت ظلال هذا الشرف الرفيع .. وفى وقت عصيب تموج فيه الفتن ، ويتخبط الناس فى الظلمات ، يئدون البنات مخافة الفاقة والعار ، يسجدون للأوثان والأصنام . أراد الله أن يخرج البشرية من ضلالة الجهالة ، إلى طاعة رب السماء .. فكانت ولادة خير الأنبياء البشير الشفيع ﷺ .. يوم الإثنين الثانى من شهر ربيع الأول : الموافق للعشرين من إبريل سنة ٥٧١ من ميلاد السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

يا أيها المبعوث فينا رحمة   يا قاهر الكفار والأخصام
يا من وقفت وماأغرك مشرك   تدعو لأشرف مقصد ومرام
يا من سموت على الخلائق كلها   يا سيد الأعراب والأعجام
يا من رفعت إلى السماء مكرمًا   وخفضت دين الكفر بالإرغام
يا صاحب التشريع إنى مؤمن   فاقبل تحية مؤمن هيام

ولما بشر جده عبد المطلب بولادته أسرع إليه وقبله بين عينيه ، وسر به سرورًا كبيرًا ، وقال : إن ابنى هذا سيكون سيدًا عظيمًا وشأنه بين الناس خطيرًا وألهمه الله أن يسميه (محمدًا) فسماه محمدًا رجاء أن يكون محمودًا فى الأرض محمودًا فى السماء : **﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾** [التوبة : ١٢٨] .

أيها المؤمنون ... ولد رسول الله يتيمًا لم تكتحل عيناه برؤية والده ، فتربى فى كنف جده عبد المطلب إلى أن بلغ الثامنة من عمره ثم كفله من بعده عمه أبو طالب وذلك لحكمة عالية . حتى لا يكون للناس فضل عليه ، ويكون الفضل لله وحده ، **﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾** [الليل : ١٩، ٢٠] . فشب رسول الله ﷺ فى رعاية الله . وفى ظل عناية الله أدبًا وخلقًا ، وفضلا ، ونبلا ، وحكمة ، وعقلا ، حتى سما على الشباب

بقوة خلقه ، ووفرة عقله ، وعلو شرفه وفضله . فاجتمع الشباب كله حوله يأتمرون برأيه ، ويهتدون بهديه . ويقفون على أسراره ويقتبسون من أنواره حتى ذاع ذكره ، وفاح عطر خلقه ، وعقدت له الزعامة بين الشباب ، من قبل أن يدرى ما الوحى ولا الكتاب . وقد أجمع أهل مكة على حبه ، وسمو خلقه حتى لقبوه بالصادق ولقبوه بالأمين . وكانوا يقولون كلما أقبل عليهم : هذا الصادق الأمين وإذا حكموه يقولون هذا الأمين رضينا بحكمه .

فلما بلغ الأربعين من عمره بعثه الله رحمة للعالمين ، وأرسله بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فهدى الناس إلى الله ، وأعلن فيهم أن لا إله إلا الله . وقاوم الظلم والاستبداد وقشع الجهل ، ومحا الفساد ، وبين أن لا فضل لأحد على أحد ، ولا لأبيض على أسود إلا بتقوى الله وصالح الأعمال .

« كلكم من آدم ، وآدم من تراب .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

يا صاحب الميلاد أنت شفيعنا   يا خير مبعوث وخير إمام
أوذيت لم تغضب ولم تك حاقدًا   وهديت أهل الشر والآثام
كم فى سبيل الله قمت مناضلا   لم ترهب الميدان خوف حمام
فقتلت كفارًا ونلت متاعبًا   ما خفت بل لم تنثنى لحسام
وصبرت يا خير الورى متمسكًا   بكتاب ربك منبع الأحكام

أيها المسلمون ... اتقوا الله ، وأحيوا ذكرى الميلاد فى أنفسكم وفى أولادكم وفى أوساطكم بتفهم سيرته ، واتباع طريقته ، والتمسك بدينه وملته . تحدثوا فى يوم ميلاده عن صبره وجهاده ، وغزوه وفتوحاته ، وحبه لربه ودينه .. وإياكم وما يفعل الجهال من رقص ومدح ، وطبل وزمر ، وإشعال للنيران ، وعصيان للديان تحت اسم الاحتفال بميلاد خير الأنام ، وهو برىء منهم ، ومن فعالهم . فالسعيد من سار على سنته ، ولزم طريقته .. يقول ﷺ :
« خرجت من نكاح .. ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

أو كما قال : **« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »** .

ادعو الله ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى ...

وسلام على الذى اصطفى .. **وأشهد أن لا إله إلا الله** ... وحده لا شريك له .. **وأشهد**

أن سيدنا وحبيبنا **محمدًا رسول الله** .. ﷺ : أما بعد :

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .. هذا هو رسول الله وهذا هو مولده .. فداك أبي وأمي يا رسول الله .. لقد تعددت محامدك وتناهت فيك آيات الكمال والجمال فأنت معجزة الإنسانية للبشر ، وأنت سفينة الدنيا إلى الآخرة ، وأنت الذى قال الله فى مدحك . ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [القلم: ١٢] .

وقد بين الله فى هذه الآية من خلائق نبلك ، وآيات فضلك ما لا تدركه العقول والأفهام ، وقد أوقف الله كل نبى عند حده ، أما أنت يا سيدى يا رسول الله فحسبك قول ربك : ﴿**وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم يكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيمًا** ﴾ [النساء: ١١٣] .

له منن لو أن معشار عشرها ... على البركان صار أندى من البحر
له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

سيدى رسول الله . لقد أكرمك الله فى كل طور من أطوار حياتك ففى الطور الأول عندما تكشف ستار القدرة عن عالم الذر جمع لك أرواح الأنبياء والمرسلين وأخذ عليهم جميعًا العهود والمواثيق أن يؤمنوا برسالتك ، وأن يصدقوا دعوتك ثم أشهدهم على هذا العهد الوثيق ، وكان معهم من الشاهدين ، ولقد سجل هذا الفخر الخالد فى كتابه : ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ [آل عمران: ٨١] .

وتطورت الدنيا إلى عهدك ، ولم يكن للأسرة نظام ، ولا للقبيلة قانون ، ولا للأمة دستور ولا للعقيدة شريعة ، إنما هو الطغيان العاسف يتحكم فى الفرد ويسيطر على الجماعة ، وكان العالم يومئذ فى قلق شامل ، واضطراب شديد فكان يتخبط فى ضلالة عمياء ، وفى جهالة جهلاء ، حتى أكل القوى الضعيف ، وقهر الغنى الفقير ، واندلعت نيران الفتنة بين القبائل والأمم حتى رويت الأرض بالدم ، واستغاثت الأرض بالسماء ، وضربت الفوضى أطنابها فى كل مكان وتولى الشيطان قيادة بنى الإنسان ، فزين له قتل أولاده ، ولو كانوا فلذات كبده ، وعبد الأصنام ، وإن كانت من صنع يده ، ونسى إلهه وهو خالقه ، ونسى اليوم الآخر وما فيه ، وأخيرًا أقيمت الوحشية مقام الإنسانية ، وحلت الرذيلة محل الفضيلة ، فالضعيف عبد القوى والفقير مِلْك الغنى ، والحق للقوى لا للقوانين ، والحكم للسيف لا للبراهين .

أيام كان المسلمون بحالة ... مرهوبة والعود صلب المكسر

أيام كان الدين ملء نفوسهم ... وأتوا على كسرى العظيم وقيصر
إذا كان رب العرش جل جلاله ... أثنى عليك فما مقدار ما تمدح الورى

سيدى أبا القاسم يا رسول الله : لقد ألفت بأخلاقك العرب ، وطردت بسيفك اليهود ، وفتحت بجيشك الدنيا ، ونظمت بدينك الناس أجمعين ولم يكن وراءك جيش يؤيدك ، ولا مال يمهد أمامك الطريق ..

إليك وإلا لا تشد الركائب ... وعنك وإلا فالمحدث كاذب
وحبك يا خير النبيين مذهبى ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

أيها الإخوة المؤمنون .. الزموا طريق المصطفى تفلحوا فى دينكم ودنياكم وتنالوا جنة عرضها السماوات والأرض .. اللهم حسن أخلاقنا ، وأصلح نياتنا ، وأصلح لنا أعمالنا ، واسترنا بسترك الجميل ، ولا تفضحنا بين خلقك عباد الله ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ اذكروا الله يذكركم . وأقم الصلاة .

* * *

١٧ - رجب الفرد

الحمد لله الذى ينتهى إليه حمد الحامدين..

وندبه يزداد شكر الشاكرين ، أحمده حمد خاضع لجلاله وكرمه ، مستزيد لفضله ونعمه ، وأشكره لا خافض لما رفع ، ولا رافع لما وضع ، وأتوب إليه واستغفره من كل ذنب وقع ، أو أثم سيقع ، فيارب الأرباب ، يا مسخر السحاب ، عافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، واصرف عنا شر ما قضيت ، والطف بنا فيما جرت به المقادير .. **وأشهد أن لا إله الله** ...

وحده لا شريك له ، فضل بعض الشهور على بعض وجعل فيها مواقيت السنن ، والفرض ، زيادة فى القليل من أعمالنا ، ونماء للصالح من أفعالنا . **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾** [سورة النحل : ١٨] .

يا رب أنت أمرتنى ونهيتنى ... وأريتنى طرق الضلالة والهدى
وعلمت أنى لا أفر من الذى ... قدرت لى إن كان خيرًا أو ردى
وسلكت بى ما شئت للشىء الذى ... فى الخلق ما أخفيته عنهم سدى
فاقبل بفضلك توبتى لك مخلصًا ... وارحم فإنى قد بسطت لك اليدا
واصفح عن العبد الذى يا سيدى ... قد جاء معترفًا وعاش موحدًا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا .

أرسله إلى أمة شديد ضلالها ، كثير جهالها ، فأنقذها من الضلالة ، وانتشلها من الجهالة ، ودلها على السنن ، وحذرها من الفتن ، وكشف عنها كل غمة ، وكان لها هدى ورحمة، وصدق الله العظيم. **﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾** [سورة الأنبياء : ١٠٧] فصلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه صلاة نبلغ بها رضا الرحمن، وننال بها يوم الفزع الأكبر الأمان.

اللهم صل على أستاذ الوجود ، وجلاء النفوس وذهاب الهموم ، ونور الأبصار وغذاء الأرواح .. محمد ..

أما بعد : أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد . تدور الأيام ، وتنتهى الشهور ، وتتغير الأحوال ، فسبحان الذى لا تغيره الأزمان ، **ولا** تبدله الأحوال .. سبحان رب العالمين .. فوجدنا أنفسنا أمام شهر رجب الكريم . أيها المؤمنون : وفضل الله بعض الشهور على بعض ، فرجب من الشهور المفضلة ، اسمعوا حديث رسول الله ﷺ: **«رجب شهر الله ، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر الأمة»** .

أيها المؤمنون : شهر رجب أحد الأشهر الأربعة التى ذكرها الله فى قوله : **﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ﴾** [سورة التوبة : ٣٦] .

هذه الأربعة هى رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، بدليل ما جاء فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال : « **إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان** » .

وإنما قال رسول الله ﷺ لمضر لأنهم كانوا أشد تعظيمًا له من غيرهم ، والعرب تسميه شهر الله الأصم ، لأنهم كانوا لا يسمعون فيه صوت سلاح ولا صوت استغاثة ، وتسميه شهر الله الأصب أى الذى يصب الخيرات ، وتتنزل البركات ، وتسميه رجب الفرد لعزلته عن سائر الأشهر الحرم ، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم غاية التعظيم ، فليقون فيها السلاح ، ويتركون الغزو ، ويحرمون القتال ، ولا يأخذون بالثأر ، حتى أن الرجل ليلقى قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه فى هذه الأشهر فلا يتعرض له بسوء . وبلغ تعظيمهم لشهر رجب أنهم كانوا يتقربون فيه بالذبائح ويلقى بعضهم إلى بعض بالمودة ، ويصلون الأرحام ، ويتناسون ما بينهم من العداوة والخصام ، وإنما كانوا يعظمون هذه الأشهر ويحترمونها ، لئلا تكون عداوة بعضهم لبعض عقبة فى سبيل حجهم ، أو مانعًا من زيارتهم بيت ربهم ، وليأمن المسافر منهم بعد أداء هذه الزيارة على نفسه وماله : ولما جاء الإسلام أقرهم على احترام هذه الأشهر ، وجعل ثواب الطاعات فيها أكثر من ثواب الطاعات فى غيرها ، وحرم فيها القتال كما كانت عادة العرب فى الجاهلية ، فقد صح عن النبى ﷺ أنه قال حين بلغه أن بعض أصحابه قتلوا قرشيًا فى رجب .. « **والله ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام** » . وساءه ذلك ، وضاقت به صدور أصحابه ، وعيرت قريش المسلمين بأنهم سفكوا الدم فى الشهر الحرام . وظل القتال محرمًا فى الأشهر الحرم ، حتى قام المشركون يصدون عن الدعوة إلى الله ، ويقفون فى سبيلها ، ويؤذون كل من آمن بها ، ويخرجون أهل مكة منها فنزل قول الله عز وجل : **﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾** [سورة البقرة: ٢١٧] .

فأباح الله القتال فى الأشهر الحرم .. دفاعًا عن الدعوة الإسلامية .. وتأمينًا للمستضعفين من المسلمين .

وإذا كانت الأزمنة تمتاز بما يقع فيها من الحوادث فلرجب فضل كبير ، ومزية عظمى على

سائر الشهور لكثرة ما وقع فيه من حوادث جسيمة ، وذكريات عظيمة . ففيه ظهرت معجزة الإسراء والمعراج تأييدًا للنبى ﷺ ، وتصديقًا لدعوته ، فقد أسرى بروحه الطاهرة ، وجسده الشريف من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام ، ثم عرج به إلى السماوات العُلى حتى وصل إلى المستوى الذى سمع فيه صريرَ الأقلام . وأراه الله تعالى من الآيات والكائنات ما لم يطلع عليه غيره .

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴾ [سورة الإسراء : ١] .

وفى هذا الشهر العظيم ليلة الإسراء والمعراج فرض الله الصلوات الخمس التى هى عماد الدين ، وأعظم قواعد الإسلام . « أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله » .

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ..

تلك بعض الحوادث الهامة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك ، وحسبه فضلا وشرفًا فى الجاهلية والإسلام أنه كان ظرفًا لهذه الحوادث الجسام ، وقد دلت الأحاديث والآثار على استحباب الصوم فى الأشهر الحرم التى منها رجب الأصم ، ففى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم فى الأشهر الحرم (. وأخرج مسلم فى صحيحه أن امرأة دخلت على عائشة زوج النبى ﷺ تسألها : أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم فقالت لها : ومن أى أيام الشهر كان يصوم ؟ فقالت لم يكن يبالى من أى أيام الشهر يصوم ؟ .

وقال ﷺ من حديث طويل : **« ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان . فهذا صيام الدهر كله »** .

وسئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم وإفطار يومين ، قال : **« ليت أن الله قوّانا لذلك »** . **« وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم فقال : ذاك صوم أخى داود عليه السلام »** . **« وسئل عن صوم يوم الإثنين فقال : ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت فيه »** .

فمن هذه الأحاديث يظهر لنا جليًا استحباب الصوم فى شهر رجب ، خصوصًا ، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لم يكن يدع شهرًا حتى يصوم منه ، ولا وجه إذن لمن ينكر استحباب الصوم فى هذا الشهر ، ويدعى أنه نهى عنه . فعلينا إذا أردنا السير على هدى الرسول ﷺ ، والاقتداء بسنته والاهتداء بهديه أن نصوم ثلاثة أيام من كل شهر خصوصًا فى رجب بل نزيد فى هذا الشهر الكريم الذى فضله الله بما أوقع فيه من المعجزات الظاهرات ، والآيات الباهرات .

أيها الأخوة المؤمنون : إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات ، وهذا هو شهر رجب المبارك ، فعليكم بالالتزام بتقوى الله ، واشغلوا أنفسكم بذكر الله ، وإياكم وما نهى الشرع عنه ، وحاول يا أخى أن تعلم أولادك القرآن ، ليكونوا لك عند الله ذخرًا ، ولتنال دعاءهم بعد مماتك .. يقول ﷺ : **« البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت . اعمل ما شئت كما تدين تدان »** .

أو كما قال : ادعو الله ..

الخطبة الثانية : **الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ... وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين** .

أما بعد : **أيها المؤمنون** : ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أذكر إخوانى المسلمين ، وأذكركم بخطر تلك العادة الشائعة التى اعتادها الناس فى هذا الشهر من خروج النساء إلى المقابر ، والمبيت بها ، واتخاذ المصابيح عليها ، وعمل الولائم والمآدب فى جنباتها ، واختلاط النساء بالرجال فى ساحاتها ، مما حرمه الشرع الإسلامى . ولم يقره شرع سماوى . فزيارة القبور وإن كانت قد أبيحت للرجال لقصد العظة والاعتبار ، فقد حرمت على النساء مخافة الفتنة والفساد ، والدين الحنيف لم يخصص لنا يومًا معينًا ولا شهرًا معينا لزيارة القبور ، حتى تتخذ من شهر رجب موسمًا لذلك ، بل أباح للرجال دون النساء زيارة الأموات فى أى يوم من أيام السنة ، ما دامت الزيارة لا يترتب عليها مفسدة ، ولا تفضى إلى معصية بل كان المقصد منها العبرة والعظة .

فاتقوا الله عباد الله ، وأكثروا فى هذا الشهر من التوبة والندم والصدقة وصلة الرحم ، فإنه شهر حرمته قديمة ، ومنزلته عند الله عظيمة ، والطاعة فيه ثوابها جزيل ، والمعصية فيه وزرها ثقيل .. انظر إلى قول رسول الله ﷺ :

« صم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر » .

وقال : **« ثلاثة من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان صوم الدهر »** .

فاللهم وفقنا لمتابعة نبيك الكريم . ونجنا من الهول العظيم ..

يوم لا ينفع مال ولا بنون .. إلا من أتى الله بقلب سليم .. وارزقنا الاستمساك بسنة نبيك ، ودينه القويم .

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم ثبت أقدامنا على دينك ، وثبت قلوبنا على طاعتك ، واسقنا شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا ،

من حوض نبيك المصطفى ﷺ اللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك ..
عباد الله .. إن الله جمع الفضائل كلها فى نصف آية من كتاب الله فقال : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى** ﴾ ، ونهى عن الرذائل كلها فى النصف الآخر من هذه الآية نفسها فقال : ﴿ **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .. يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾..
اذكروا الله العظيم يذكركم . وأقم الصلاة .

* * *

١٨ - الإسراء والمعراج

الخطبة الأخيرة من شهر رجب

الحمد لله ... مالك الملك وملك الملوك .. سبحانه الفعال لما يريد ، القوى المجيد .. أسألك ربى أن تجنبنا موارد الظالمين .. وأن تجعلنا عند سكرة الموت ووحشة القبر ووقفة الحساب من الآمنين .. **وأشهد أن لا إله إلا الله** ..

أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأراه من آياته الكبرى .. من القادر على ذلك غير الله .. من الخالق للبراق غير الله ؟ .

الله قل ، وذر الوجود وما حوى — متأدبًا فى ساحة الإجلال
سلم لتسلم فى حياتك إنه — من لازم التقوى سما بظلال
واجعل لنفسك من قضا الله الرضا — حتى تكون موفق الأعمال
فتشت كل الخلق عن علم فلم — أر لى سوى رب السما من وال
فتركت كل العالمين وجئته — وجعلت ذكرى ذاته منوالى
إن كنت تحسب أن فى المال الغنى — فلقد جعلت رضا المهيمن مالى

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا . نبى الهدى الذى طهر قلبه ، وسيد الأنام الذى ختم به الرسالة ربه .. أرسله الله رحمة للعالمين ، وإمامًا للأنبياء والمرسلين ، وسيدًا للأولين والآخرين ﷺ .. النبى الأمى الذى علم المتعلمين ، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين ، والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط ومعترك الأمواج إلى شاطىء الله رب العالمين .

أما بعد : **أيها الأخوة المؤمنون** : أحباب الحبيب المصطفى محمد .. فاضَل الله بين أنبيائه ، ورسله كما فاضل بين مخلوقاته وقد حاز خاتم الرسل أكبر قسط وأعظم نصيب من الفضل ، فبُعث إلى الثقلين من الإنس والجن ، وعمت رسالته البشرية كافة ، فكانت شرعته خاتمة الشرائع حاوية لما سبقها من الفضائل والمزايا وأوجه الإصلاح المهذبة للنفوس ، الهادية للقلوب المنيرة للبصائر السامية بالأرواح الطاهرة إلى الدرجات الرفيعة المقربة من الملأ الأعلى من صفاء وطهر وقد امتحن الله خير الأنبياء برحلة أرضية فسار به من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس ليلا ، ليطوف به فى تلك البقاع المباركة التى كانت مهدًا

للنبوات ، ومحلًا للفيوضات الإلهية و النعم السابغة التى أنعم الله بها على عباده فهداهم إلى الصراط المستقيم على أيدى الرسل الذين اصطفاهم وفضلهم وكان ذلك من الحكمة والصواب بمكان عظيم يدرك غايته ورفعته من تقدير منزلة خاتم الرسل الذى جاء اللبنة المكملة للبناء الشامخ الذى بناه أول رسول وأتم بنيانه خاتم الرسل إذ يقول فى حديث صحيح له.. « **وأنا تلك اللبنة التى تم بها بناء البيت** ».

وقد لقى النبى ﷺ من ثقيف بالطائف أذى يقض مضجعه وينغص عيشه وصار خوفه شديدًا متزايدًا على مصير دعوته ، وأثر ذلك كله واضح فى موقفه حينما وقف وقفه المكروب المحزون يناجى ربه ويجأر إليه بالشكوى قائلا :

« **اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى** » .

فكانت رحلة الإسراء من بشائر النصر ، وأمارات الفوز فمن كان الله ناصره فلن يخذل ، ولن يذل ولن يهان . فكان الإسراء سلم الأمان ومادة الامتحان لإيمان المؤمنين ونقطة تحول ودائرة سوء على المكذبين فكان فى قصصه عبرة .. وفى حديثه فتنة . فقد قال المطعم بن عدى : (يا محمد إن أمرك قبل اليوم كان أمرًا يسيرًا ، إنا لنضرب أكباد الإبل من مكة إلى بيت المقدس شهرًا .. واللات والعزى لا أصدقك أبدًا) . وقال أبو بكر : (إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك .. أصدقه فى خبر السماء يأتى فى ساعة من ليل أو نهار) .

وصدق الله العظيم إذ يقول فى ذلك: **﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾**
[سورة الإسراء : ٦٠] .

وقد وقف سيد المرسلين يلقى خطبة وسط الأنبياء بعد أن أمهم فى الصلاة وقال : « **الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا ، وأنزل على القرآن فيه تبيان كل شىء ، وجعل أمتى وسطًا ، وجعل أمتى هم الأولين وهم الآخرين ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحًا خاتمًا** » .

فصلى الله عليه وسلم يا سيدى يا رسول الله ..

ولقد سيرت إلى المهيمن ليلة   والله ما أحد سرى مسراك

يا من زكى الله عقلك فقال : **﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾** [سورة النجم : ٢] .

وزكى لسانك فقال : **﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾** [سورة النجم : ٣] .

وزكى جليسك فقال : **﴿ علمه شديد القوى ﴾** [سورة النجم : ٤] .

وزكى فؤادك فقال : **﴿ ماكذب الفؤاد ما رأى ﴾** [سورة النجم : ١١] .

وزكى بصرك فقال : **﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾** [سورة النجم : ١٧] .

وزكى قلبك فقال : **﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾** [سورة الشرح : ١] .

وزكاك كلك فقال : **﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾** [سورة القلم : ٤] .

أيها الأخوة المؤمنون ... وكما شرف الله خاتم رسله بالإسراء إلى الأرض المباركة شرفه بالمعراج إلى السماوات العلى حيث سمع صرير الأقلام حيث انتهى إلى سدرة المنتهى وأشار القرآن الكريم إلى قصة المعراج فى أول سورة النجم قال : **﴿ والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى .. إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾** .

فالآيات الكبرى الدالة على قدرة الله تعالى ، وعلى إحاطة علمه وبالغ حكمته قد اختص الله برؤيتها خاتم رسله تعظيمًا له ، وتشريفًا . وحدث عليه السلام عن ذلك فقال : « **بينما أنا فى الحطيم مضطجعًا إذ أتانى آت فشق صدرى فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيمانًا فغسل قلبى ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى السماء الدنيا** ...» .

مما يثبت عروج النبى ﷺ إلى السماوات حتى نهايتها ووصوله إلى سدرة المنتهى التى ثمارها بمثل قلال هجر ورقها مثل آذان الفيلة ، وقد كان بركة تلك الليلة وفضلها أن فرضت فيها الصلاة خمسًا فى الفعل وخمسين فى الأجر رحمة بهذه الأمة وزيادة فى أجرها وثوابها أجرًا عظيمًا على قليل من العمل وقد أقسم تعالى بالنجم وقت هويه مخاطبًا قريش بأن صاحبهم الذى عاش بين ظهرانيهم وعرفوا أحواله وخبروا أطواره ووصفوه بالأمين قبل البعثة ما هو إلا نبى جاءه الوحى ولم يسلك إلا الطريق السوى ، فما ضل وما غوى ، وما ينطق عن الهوى .

أيها المؤمنون : إن فى رحلة الإسراء والمعراج الخير العميم للأمة فعليكم أن تعلموا ما حدث لرسول الله فى ذلك اليوم ، وما رآه من مشاهد تصور يوم القيامة ، وأحوال الإنسانية .. خاصة فى وقت انشغل الناس فيه عن عبادة الرحمن ، واتبعوا طريق الشيطان .. فأصبحوا كتلة هوت تحت ضربات الزمان .. لا يستطيعون الصمود لأى عدوان .. فقد خارت قواهم .. وانغلقت أبصارهم ، وطمست بصيرتهم ، وران على قلوبهم الفسق والضلال .

أيها المؤمنون إن الإسراء يذكرنا بالتوبة ، ولزوم طاعة الله .. وجهاد رسول الله ﷺ ..

﴿ فتوبوا إلى الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [سورة النور : ٣١] .

« عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ، ما يقال لك بعد .. فما كان اليوم السابع قال : **أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته ، وإذا أسأت فأحسن ، ولا تسألن أحدًا شيئًا وإن سقط سوطك ، ولا تقبض أمانة** » .

رواه أحمد باسناد جيد ... أو كما قال .. ادعو الله ...

الخطبة الثانية : الحمد لله رب العالمين وكفى ....

وسلام على الذين اصطفى .. **وأشهد أن لا إله إلا الله ....**

الملك الحق المبين .. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين ...

اللهم صل وسل وبارك على هذا النبى النقى المكى الذكى الهاشمى الأبطحى الكريم وعلى آله وصحبه واتباعه وذريته وآل بيته أجمعين .. وبعد :

أيها الأخوة المؤمنون ... ولم يكن رسول الله ﷺ مفتريًا على الله بغير علم ، فلم يك ما جاء إلا وحيا يوحى علمه شديد القوى ذو مرة ، فى عقله حصافة ، وما كان القرآن قول شاعر ولا قول كاهن ولا أساطير الأولين بل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض ونزل به الروح الأمين . وما شك محمد فى جبريل حين رآه مستويًا بالأفق على خلقته التى خلقه الله عليها ثم دنا جبريل فتدلى ليرى محمد عظمة الله وإبداعه فى مخلوقاته فكان قاب قوسين أو أدنى . فعرف محمد ﷺ من خواصه ما أسلمه إلى اليقين بأن جبريل رسول رب العالمين ، وما كذب فؤاده ما رأته عينه ، وصدق الخبر فلا محل لمحاولة الممترين . ولقد رآه نزله أخرى بعدها جاوز السماوات العلى فى مكان لا يرقى إليه راق . وقدرة الله فوق الشك والتهم ، رآه عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى فى مكان تحار فيه العقول حيث أفاض الله على خاتم الأنبياء والمرسلين من فضله العظيم فأراه ملكه وجبروته .

أعلمه من الغيب ما يزيد إعلامه فليس لنا أن نتجاوز القليل من العلم الذى تصل إليه عقولنا وعلينا أن نترك الغيب لله وحده إذ يقول تعالى :

﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدًا ﴾ [سورة الكهف : ٥١] .

أيها المؤمنون : هذا حديث الإسراء والمعراج كما جاء فى القرآن والسنة ، وقديمًا سلك فيها

أقوام مسلمون وغير مسلمين متشبثين باللجوء إليها ظواهر بعض النصوص فى الدلالة عليها وذلك ناشىء من قصور إدراكهم وعقم فهمهم .. فسبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ليريه من آياته .. إنه الله رب العالمين . ولقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء أناسًا ترضخ رؤوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت ، فقال : « **ما هذا يا أخى جبريل ؟** » قال : هؤلاء ناس من أمتك تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. والتزموا تعاليم الإسلام .. اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . وأقم الصلاة .

* * *

١٩ - الاستعداد لرمضان

الخطبة الثانية من شهر شعبان

الحمد لله رب العالمين .

أحمدك يا الله كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، وأتوب إليك وأستغفرك ، وأسألك أن تجنبنا موارد الظالمين ، وأن تجعلنا يا الله عند سكرة الموت ، ووحشة القبر ، ووقفة الحساب من الآمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله . وحده لا شريك له فى سلطانه ، ولا مناوىء له فى علو شأنه ، العزيز الذى لا يغلب ولا يذل ، والدائم فكل ما سواه زائل مضمحل ، يقبل تائبًا ، ويعطى محرومًا ، ويغيث لهفانًا ، ويفقر غنيًا ، ويغنى فقيرًا ، ويقصم جبارًا ، ويهلك ظالمًا ، ويرفع أقوامًا ، ويخفض آخرين ، ما للعباد عليه حق واجب ، إن عذبوا فبعدله وإن نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع .

أيا من كلما نودى أجابا ... ومن بجلاله ينشى السحابا
وكلم فى الدجى موسى بلطف ... كلامًا ثم ألهمه الخطابا
ويا من رد يوسف بعد بُعد ... وكان أبوه ينتحب انتحابا
ويا من خص أحمد واصطفاه ... وأعطاه الرسالة والكتابا
وقربه وسماه حبيبًا ... وأعتق من شفاعته الرقابا
لك الفضل المبين على عطاء ... مننت به وضاعفت الثوابا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور .. محمدًا . سيد الأولين والآخرين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وحبيب رب العالمين .. اللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود وجلاء النفوس وذهاب الهموم ونور الأبصار ، وغذاء الأرواح .. محمد .

وبعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون : أحباب الحبيب المصطفى محمد ..

رمضان على الأبواب ، فماذا فعل المسلمون له ؟

كثير من المسلمين يستعدون لرمضان بتوفير ما يحتاجون إليه من مستلزمات الحياة ، وآخرون يسرعون فى تشييد الأفران ، وآخرون يجدون فى صنع الحلوى حتى يفيض الله عليهم

من رمضان ، أما الدولة فهى تستعد له بتوفير السلع فى الأسواق ، واستيراد ما يلزم من الخارج .. هؤلاء هم المسلمون هذه الأيام .

أما صحابة رسول الله ﷺ فكانوا يستعدون لرمضان قبل رمضان بستة أشهر ، ويودعونه بستة أشهر ، فعامهم كان رمضان .

أيها المسلمون : إن رمضان شهر صيام وليس طعام ، ولذا وجب الاستعداد له بكثرة العبادة لله رب العالمين ، والتوبة الصادقة ، والبعد عن معاصى الله ..

أيها المسلمون .. راقبوا الله فى رمضان ، ففى رمضان يزداد رزق المؤمن فقد روى أن جبريل عليه السلام سأل النبى صلوات الله عليه عن الإحسان فقال : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .

وقال تعالى : ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾ [سورة الرعد: ٣٣] . وقال : ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾ [سورة العلق: ١٤] . وقال : ﴿ **إن الله كان عليكم رقيبًا** ﴾ [سورة النساء: ١] .

وسئل بعض الصالحين : بم ينال العبد الجنة ؟ قال بخمس : استقامة ليس فيها روغان ، واجتهاد ليس معه سهو ، ومراقبة الله فى السر والعلانية ، وانتظار الموت بالتأهب له ، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب .

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهبًا ... وأن غدًا للناظرين قريب

أيها المسلمون ... والمراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه . ويعنى بها حالة القلب يثمرها نوع من المعرفة ، وتثمر تلك الحالة أعمالاً فى الجوارح وفى القلب ؟ ، أما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب .. وملاحظته إياه ، وأما المعرفة فهى العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر ، رقيب على أعمال العباد ، قائم على كل نفس بما كسبت ، وإن سر القلب فى حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف ، ثم للمراقب من أعماله نظران : نظر قبل العمل ، ونظر فى العمل ، أما قبل العمل فلينظر إلى همه وحركته .. أهى لله خاصة ، أو لهوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق ؟

فإن كان لله تعالى أمضاه ، وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه ، وميله إليه ، وعرفها سوء فعلها وأنها عدوة نفسها ، وأما النظر الثانى للمراقبة منذ الشروع فى العمل ، فذلك بتقديم كيفية العمل ليقضى الله فيه ، ويحسن النية فى إتمامه

ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه .

لذا يجب علينا أن نحاسب أنفسنا .. انظروا إلى قول الحق سبحانه : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ [سورة الحشر : ١٨] . وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ، وقال تعالى : ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [سورة النور : ٣١] . والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه . وقال تعالى : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠١] .

وقال النبى ﷺ: « **إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه فى اليوم أكثر من مائة مرة** » .

وقال عمر رضى الله عنه : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا » .

أيها المسلمون .. ولذا يجب أن يكون لكل منا فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها .. كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر سنة أو شهر أو يوم حرصًا منهم على الدنيا . فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ؟، ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة وقلة التوفيق ..

أيها المسلم : اعلم أن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وهى غالبًا أمارة بالسوء ميالة إلى الشر ، فرارة من الخير ، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقيادتها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ، ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها ، فإن أنت أهملتها جمحت وشردت ، ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة رجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل فى زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها .

قال تعالى : ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ [سورة الذاريات : ٥٥] . وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها، إنها أبدًا تتعزز بفطرتها وهدايتها ، وتشتد أنفتها واستنكارها إذا نسبت إلى الحق : فتقول لها : يا نفس ما أعظم جهلك ! تدعين الحكمة والذكاء والعظمة وأنت أشد الناس غباءً وحمقًا ؟ أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار ، وأنك صائرة إلى إحداهما على الدرب . فمالك تشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم ؟ أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب ، وأن البعيد ما ليس بآت .. أما تتدبرين قوله تعالى : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم** ﴾ [سورة الأنبياء: ١، ٢] .

ويحك يا نفس ، إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقاد أن الله لا يراك فما أعظم كفرك ، وإن كان مع علمك باطلاعه عليك ، فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ! ويحك يا

نفس ، لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف غضبك عليه ومقتك له ؟.

فبأى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه ، وشديد عقابه ؟ أفتظنين أنك تطيقين عذابه . هيهات هيهات ! جربى نفسك إن ألهاك البطر عن أليم عذابه ، فاحتبسى ساعة فى الشمس أو قربى أصبعك من النار ، ليتبين لك قدر طاقتك .

أم تغترين بكرم الله وفضله ؟، فما لك لا تقولين على كرم الله تعالى فى مهمات دنياك فإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا يقضى إلا بالدينار والدرهم ، فما لك تنزعين الروح فى طلبها ، وتحصيلها من وجوه الحيل ، فلم لا تقولين على كرم الله تعالى حتى يعثر على كنز ، أو يسخر عبدًا من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعى منك ولا طلب ؟!!

أفتحسبين أن الله كريم فى الآخرة دون الدنيا ، وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها ، وأن رب الآخرة هو رب الدنيا . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ؟!

أيها المسلمون .. هذا هو طريق الفلاح .. فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا خاصة وأنتم فى استقبال شهر البركة والنماء .

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « **إن الله عز وجل قال يا عيسى : إنى باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم . فقال : يارب كيف يكون هذا ؟ قال : أعطيهم من حلمى وعلمى** » . رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى . أو كما قال ﷺ .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين .. ولى الصالحين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. الملك الحق المبين ..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمدًا رسول الله الصادق الوعد الأمين .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى النقى التقى القرشى الذكى المكى الكريم وعلى آله وصحبه وأتباعه الطيبين الطاهرين .

وبعـد :

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ..

ولقد كان الصالحون يزجرون أنفسهم ويلزمونها طاعة الله .. ولقد كان أحدهم يحدثها فيقول :

ألا يا نفس ويحك حدثيني حديثًا صادقًا لا تكذبيني
أليس الموت مكتوبًا عليك ولو عمرت ألفًا من سنين؟
فأين الأولون من قوم نوح وأين الآخرون من السنين؟

ولقد رأى رجل أن نفسه قد غلبته وأنه أسرف على نفسه فذهب إلى طبيب القلوب إبراهيم بن أدهم، وطلب منه أن يعرض عليه ما يكون زجرًا له عن فعل المعاصى فقال إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العاصين، قال الرجل: هات ما عندك.

فقال له إبراهيم بن أدهم :

الأولى : إن أردت أن تعصى الله فلا تأكل من رزقه . فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً : كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله ؟ قال إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل من رزقه وتعصيه قال : لا يا إبراهيم . هات الثانية ، قال :

الثانية : إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده ، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه الأول ثم قال : كيف ذلك يا إبراهيم والبلاد كلها ملك لله ؟ فقال له إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا يا إبراهيم هات الثالثة :

قال **الثالثة** : إذا أردت أن تعصى الله سبحانه فانظر مكانًا لا يراك فيه الله فاعصه فيه .. قال : كيف تقول ذلك يا إبراهيم وهو يعلم السر وأخفى ، ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ؟، فقال : إذا كنت تعلم ذلك .. فهل يجدر بك أن تعصيه ؟ قال : لا يا إبراهيم هات الرابعة .

قال : **الرابعة** : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له أخرنى إلى أجل معدود فقال الرجل : كيف تقول ذلك يا إبراهيم والله سبحانه يقول : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ ؟ .. فقال : إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة ؟ ، قال : نعم يا إبراهيم هات الخامسة .

قال : **الخامسة** : إذا جاءتك ملائكة جهنم (الزبانية) ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم .. فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا : كفى يا إبراهيم أنا أستغفر الله .. وأتوب إليه .. ولزم العبادة حتى مات .

بذلك وصلوا إلى الله .. وهذا هو طريق الفلاح إن شاء الله .

عبد الله .. إن أتى رمضان .. وما أدراك بأمر رمضان . ولا يدرى الإنسان أيدرك رمضان الذى يليه أم لا .. فلا تضيع وقتك ، وانشغل بطاعة الله .. والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله تفز فى الدنيا والآخرة .

اللهم ارزقنا الإخلاص فى القول والعمل . وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ، وقنا خزى الدنيا وعذاب الآخرة وأقم الصلاة .

* * *

٢٠ - الصيام فى الشرع الإسلامى

الخطبة الأولى من شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين .. أحمده سبحانه ، أجزل الأجر للصائمين .. ورفع درجاتهم إلى عليين ، وسلكهم فى سلك الملائكة المقربين .

أسأله أن يتقبل صيامنا ، وقيامنا ، وأن يغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا ، وأن يثبت أقدامنا ، وأن ينصرنا على القوم الكافرين .

وأشهد أن لا إله إلا الله . القائل : « الصوم لى وأنا أجزى به » .

سبحانه يرضى عمن صام رمضان فى شوق وإيمان .. سبحانه أعد للمتقين جنات النعيم ، وأعد للظالمين العذاب المهين .

ما اعتذارى ، وأمر ربى عصيت حين تبدى صحائفى ما أتيت ؟
ما اعتذارى ، إذا وقفت ذليلا قد نهانى ، وما أرانى انتهيت ؟!
يا غنيًا عن العباد جميعًا وعليمًا بكل ما قد سعيت !
ليس لى حجة ، ولا لى عذر فاعف عن زلتى ، وما قد خفيت

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد . عبد الله ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، اصطفاه الله رحمة للعالمين .. وحجة للمرشدين ، ومحجة للمسترشدين ، ونقمة على الكافرين ، وقامعًا للظالمين .

اللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود ، وجلاء النفوس ، وذهاب الهموم ، ونور الأبصار ، وغذاء الأرواح .. محمد .

أيها الأخوة المؤمنون : أحباب الحبيب المصطفى محمد .. **فرض الله عز وجل الصوم** زادًا للروح ، وغذاء للنفس ، ومتاعًا للقلب لتسمو همم المؤمنين إلى مستوى الملائكة المقربين ، وجعل الله الصوم طاقة روحية ، ونفحة قدسية ، وصفة ملائكية ، ترتفع بالمسلم إلى آفاق الملأ الأعلى ، فى ساحة المقربين ، فالصوم سبحات إلهية ، ورياضة ربانية ، وتربية نورانية ، تخلق من الإنسان الصادق ، شخصًا كريمًا ، يسمو عن الخطايا ، ويترفع عن **الشهوات** ، ليسكن جنة عرضها الأرض والسموات ، لذلك بين الرسول ﷺ أن الصوم باب الجنان ، وطارد للشيطان ، يقول رسول الله ﷺ لعائشة : « **أديمى قرع باب الجنة** » قالت : بم ؟ ، قال : « **بالجوع** » .. قال ﷺ : « **إن الشيطان**

يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع » . فمن صام رمضان إخلاصًا وإيمانًا ، وصامه احتسابًا وإيقانًا ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وأصبح عند الله وليًا ، وكان عند ربه مرضيًا ؟ ومن صامه وحافظ على حدوده ، وقام بأركانه ، طهر قلبه ، وزكت نفسه ، وصح بدنه .

قال ﷺ : « **من صام رمضان وحفظ حدوده ، وتحفظ ما ينبغى له أن يتحفظ إلا كفر ما قبله** » .

وقال ﷺ : « **لكل شىء زكاة ، وزكاة البدن الصوم** » .

أيها الأخوة المؤمنون : من أدرك هذا الشهر صحيحًا سليمًا ، وأعرض عن صومه كان عند الله ذميمًا ، ومن أدرك هذا الشهر فلم يصمه فقد خسر الدنيا والآخرة وضل ضلالا بعيدًا .

يقول ﷺ : « **من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ، ولا مرض لم يقضه عنه صيام الدهر وإن صامه** » .

ومن أعرض عن صوم رمضان فقد استولى عليه الشيطان ، وفاته النور والإيمان وجعل صدره ضيقًا حرجًا ، ومعيشته ضنكا ، وحشره يوم القيامة أعمى ، لأنه أعرض عن ذكر الله وآياته وأقبل على لذاته وشهواته يقول سبحانه : ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾ [سورة طه : ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦] .

ومن أفطر رمضان متعمدًا مستهترًا ، وأعلن إفطاره مجاهرًا ، وعصى الله فيه ساخرًا فقد ألحد فى دينه ، وأعرض عن ربه ، وخلع إيمانه بيده ، كما يخلع أحدكم القميص من رأسه .

يقول ﷺ : « **عرا الإسلام وقواعد الدين ثلاث من ترك واحدة منهن فهو بالله كافر وحل دمه وماله** .. » قيل ما هن يا رسول الله ؟ قال : « **شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلوات الخمس ، وصوم رمضان** » .

أيها المؤمنون .. عجبًا لقوم من المسلمين ، من الأغنياء القادرين والتجار الموسرين ، والموظفين المستريحين ، والشباب والعمال الأشداء ، إذا أقبل عليهم شهر رمضان تبرموا ، وإذا قيل اتقوا الله وصوموا أعرضوا وياليتهم إذا أفطروا استتروا وأخذهم الحياء ، وتواروا عن الناس لهذا البلاء .

﴿ **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾

[سورة المطففين : ٤، ٥، ٦] .

أيها المسلمون .. إن إقبال شهر رمضان علينا فرصة يجب أن نفرح بها ، وصدق القائل فى

مالى أرى الإسلام فيك يضاعف ... فيك الكسول إلى المعابد يقصد
فيك الضلالة تنمحى بسحابة ... من فيض نور الله فيها السؤدد
فيك المشاحن والمشاغب والمدا ... هن والمنافق للندى يتعود
فيك الرحيم يجود بالعليا لمن ... هجر الكلام الفحش أو ما يفسد
فيك الجنان تفتحت أبوابها ... وتقول أين الصائمون ليخلدوا ؟
فيك الغنى مع الفقير تجالسا ... فى الله حبًا ، وارعوى بك حاسد
فيك الكريم يقول : هل من آكل ... أما البخيل فذاك قلب جاحد
فيك التزاور للأخوة ينجلى ... والمرء ليلا قائمًا يتهجد
فيك السكوت عن الكلام عبادة ... والعاقل الأتقى بذا يتردد

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد.. ولقد قال المولى سبحانه: ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾

[سورة البقرة: ١٨٥] .

فالمراد بشهر رمضان أى شهر الصيام الذى كلف الله فيه المسلمين بالإمساك عن المفطرات من بياض النهار إلى سواد الليل إمساكًا مصحوبًا بالإقلاع عن السيئات ، والكف عن المحرمات ، وترك اللغو واللهو ، والعبث والفجور، والانهماك فى الطاعة والعبادة والخشية، والمراقبة والصلاة والذكر ، حتى يخرج المسلم من هذا بالأجر الوفير ، والثواب الجزيل ، والنور والضياء ، والطهر والصفاء ، والمراقبة والإخلاص ، والنقاوة من أدران المعاصى والمساوىء ، والخسائس والنقائض ، نقاوة الثياب من الدنس بعد غسله بالماء الطهور . ولذلك سماه مولانا : ﴿ **شهر رمضان** ﴾ .. لأنه يرفض الذنوب ويزيلها ، ويذهبها ويمحوها ، ويعيد لصحيفة العبد البياض والنقاوة من لوثة الذنوب والآثام والأوزار والسيئات.

روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال يومًا : وقد حضر رمضان : « **أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا ، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل عمل ابن آدم له: إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى. وللصائم فرحتان: إذا أفطر فرح**

بفطره وإذ لقى ربه فرح بصومه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

وقال : « **لو يعلم الناس ما فى رمضان من الخير لتمنوا أن يكون حولاً كاملاً** » .

أيها المؤمنون : إن رمضان أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، فعظموا شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وتعرضوا فيه لنفحات الرحمن ، وأكثروا فيه من البر والإحسان ، وتزودوا فيه من الطاعة فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله يا أولى الألباب .

روى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

أو كما قال .. وفى الأثر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى .. وسلام على الذين اصطفى ..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا رسول الله صلوات ربى وتسليماته عليه .

أما بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون : علمنا أن الصوم كبح للنفس عن جميع الشهوات ، وإبعاد لها عن كافة الملذات ، فتتألم وهى إلى ملاذها ناظرة ، وهى تغالب ، وتجاهد فتقوى عزيمتها ، وتقهر خصمها ، ففى الصوم إذلال للنفس ، وإخضاع لها ، فهو جُنة من كل نقيصة ووقاية من كل رذيلة متى روعى وجه الحكمة منه .

انظروا إلى قول الرسول ﷺ : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** » .

أما عن منافع الصوم الجسمية ، فأنتم تعلمون أن الإفراط فى الطعام والشراب مبعث الأمراض وأصل العلل ، وإن الإنسان ليشعر عند الامتلاء بثقل فى رأسه ، وخور فى جسمه ، وظلام فى وعيه ، فلا يفهم ما يلقى عليه ، ولا يبصر ما يقع حواليه . وأما إذا قلل من الطعام فإنه يشعر بالنشاط والقوة والذكاء والفطنة .

لقد عجب العالم من سيرة أصحاب رسول الله ، وكيف قاموا على قلة عددهم بما أدهش فى زمن قصير من الفتوحات العديدة . وكأن أجسامهم قوة قد خلصت من سموم الأطعمة والأشربة ، وتخلصت من فضلات الأغذية ورواسبها القاتلة .. بالإضافة إلى قوة عقيدتهم .. وصدق ابن سينا الحكيم حينما قال : « إن أكثر الأمراض تنشأ من المواد الرسوبية ، وهذه المواد تتولد من الطعام وتكثر

فى الجسم فما يشعر الإنسان إلا وقد انتابه المرض ولا سبب له إلا هذه المواد » .

أليس هذا هو الصوم الذى جاءت به الشريعة الإسلامية ، فإذا كانت المواد الرسوبية متراكمة فى الجسم قد مكثت فيه أحد عشر شهرًا وهى فى كل شهر تتزايد حتى كثرت وتراكمت أليس من الواجب اجتناب الغذاء بعد ذلك شهرًا واحدًا إلا فى ميعاد محدود .

لا شك أن صوم أيام قليلة لا يكفى فى ذوبان واحتراق هذه السموم المتكدسة ، وإنما صوم ثلاثين يومًا على الأقل ، وصدقت يا سيدى يا رسول الله حينما قلت : « **صوموا تصحوا** » .

أيها المؤمنون .. ها هو رمضان بينكم ، وها هو الله قد أجزل الثواب فيه ، فانظروا ماذا أنتم فاعلون فيه .

وها هو المولى سبحانه ينادى ويقول : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ [سورة الكهف : ١١] .

واعلموا أنه ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] .

اللهم تقبل منا الصيام والقيام يارب العالمين .

اللهم اجعله شهرًا طيبًا مباركًا علينا يا كريم .

اللهم اجعلنا نخرج من هذا الشهر وقد غفرت لنا ذنوبنا يا أكرم الأكرمين .

اللهم وحد صفوف المسلمين ، وانصرهم على أعدائهم يا الله .. إلهى هذا حالنا لا يخفى عليك ، وهذا ذلنا ظاهر بين يديك فعاملنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك .. واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين وأقم الصلاة .

* * *

٢١ - ثورة الهجرة

الخطبة الأولى من شهر المحرم

الحمد لله على علمه بعد حلمه . وعلى عفوه بعد قدرته ، سبحانه يهب العاملين المخلصين رحمة من لدنه ، ويهيىء لهم من أمرهم رشدًا ..

نسألك يا الله أن تجنبنا موارد الظالمين ، وأن تجعلنا يا الله عند سكرة الموت ، ووحشة القبر ، ووقفة الحساب من الآمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله . كتب للمهاجرين فى سبيله فضلاً وأجرًا ، وجعل لهم من أمرهم يسرًا .

فتشت كل الخلق عن علم فلم ... أر لى سوى رب السما من وال

فتركت كل العالمين وجئته ... وجعلت ذكرى ذاته متوالى

يا نفس إنى لا أبالىء غيره ... قومى إلى حوض الكريم تعالى

إن الذى فهم المحبة قلبه ... فى القدر من بين البرية عال

وأشهد أن سيدنا وحبينا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا .

خير العالمين شرفًا وقدرًا ، وأعظمهم منزلة وأفضلهم عند الله ..

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بهديه ، واستضاءوا بنور فضله، فأصلح بالهم، وأدخلهم الجنة عرفها لهم فرضى عنهم أجمعين..

أما بعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .. كلما أقبل علينا عام هجرى جديد ، وأشرق علينا هلال المحرم ازددنا إيمانًا بمبادىء الهجرة ، وامتلأنا يقينًا بآيات الهجرة ، تلك المبادىء الحية ، والآيات البينة التى خلقت المسلمين خلقًا جديدًا ، وبعث فيهم عزمًا شديدًا ، فحولت ضعفهم إلى قوة ، وقلتهم إلى كثرة ، وذلتهم إلى عزة ، بعد أن كانوا مستضعفين فى الأرض يتخطفهم الناس .. فقد عاش رسول الله ﷺ فى مكة ثلاثة عشر عامًا

بعد أن اصطفاه الله بالرسالة ، يدعو الناس إلى الهدى ، وينهاهم عن الردى ، ويرشدهم إلى طريق الرحمن ، ويحذرهم من طريق الشيطان ، ويدلهم على الصواب ، ويأخذ بأيديهم إلى نور الله ، فما آمن به إلا قليل من الفقراء والمستضعفين ، وما آمن به إلا نذر يسير من الأقوياء. الذين لا جاه لهم ولا سلطان، ولكنهم قلة صادقة، للحق معانقة، خالط الإيمان بشاشة قلوبهم ، وامتزج التوحيد بدمائهم ، فلم يبالوا بتهديد المشركين، واستهانوا بعناد المخالفين فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، ولكن دعوتهم بقيت محبوسة ورسالتهم أصبحت محصورة، لا يستطيعون أن يبلغوها إلى خارج مكة، وأن يقوموا بنشرها فى الجزيرة العربية.

وكتمت أنفاسهم وأسكتت أصواتهم ، ولم يجدوا من يذود عن دعوتهم ، ومن يدافع عن رسالتهم فلما نفد صبرهم ، واشتد كربهم ، أجمعوا أمرهم على الخروج سرًا ، والتسلل فى غيابة الليل إلى المدينة ، عسى أن يجدوا أنصارًا لدعوتهم ، وأعوانًا على تبليغ رسالتهم وكانت ثورة مباركة على الكفر والظلم ، وثورة عارمة على الفساد والاستبداد فهاجروا جميعًا إلى المدينة تحت إرشاد نبيهم وقائدهم ﷺ، وتبعًا لخطة مرسومة وضعها رسولهم الذى بين لهم أن الهجرة من أصول الإيمان، ومن لم يهاجر وقع فى الكفر، ولم يسمح لإنسان مسلم أن يتخلف عن الهجرة إلا المستضعفين من الرجال والنساء، والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا .

أيها المؤمنون ...

وخرج رسول الله ﷺ ، وذهب إلى بيت صديقه أبى بكر ، واتفقا على الصحبة ، ودخلا الغار ، وتعقبهم المشركون بعد أن وقفوا على بابه من قبائل شتى ، حتى يذهب دمه بين القبائل ، فرماهم بالتراب ، فأعمى الله أعينهم .

﴿ يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم ۞ تنزيل العزيز الرحيم ۞ لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ۞ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ۞ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون ۞ وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ [سورة يس: ١- ٩] .. وينظر أبو بكر إلى رسول الله ، ويقول له : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فيقول له الحبيب المصطفى محمد : **يا أبا بكر ما تقول فى اثنين الله ثالثهما .**

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول

لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ﴾ [سورة التوبة: ٤٠] .

من القادر ؟ من الرازق ؟ من الجبار ؟ من القهار ؟.. إنه الله ..

عبد الله .. إذا اجتمعت عليك الدنيا فقل يا الله ، وإذا أدركتك مصيبة فقل يا الله ، وإذا رأيت مبتليًا فقل يا الله ، وإذا رأيت غنيًا فقل يا الله .. كن مع الله يكن الله معك .

ما قريش ، وما الدنيا ؟، والله لو وقفت الدنيا بأسرها أمام رسول الله لمقاتلته ما استطاعت أن تصل إليه .. فمعه الله ..

والمؤمن الذى يؤمن إيمانًا صادقًا بقلبه، وتصدقه جوارحه لن تستطيع الدنيا أن تنال منه شيئًا.

سيدى أبا القاسم يا رسول الله : لم يكتفوا بإخراجك وتعذيب أصحابك بل حاولوا قتلك ولكن الله كتب لك النجاة والسلامة وأذن لك بالهجرة وليس معك أحد سوى أبى بكر ، والله معكما .

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

ونصبوا لك الفخاخ والشباك ، ولكن الله أحبط أعمالهم ، وسدد سهمهم إلى نحورهم ، وحباك فلله جهودك ومساعيك .

عطر حديثك بالنبى محمد ... وأذع به فى الخائفين وردد
وأنشد به ما شئت لست ببالغ ... ما يستحق من النهى والسؤدد
وافخر به ما شئت غير منازع ... ما الفخر إلا بالنبى محمد
فلقد حباه الله أفضل صاحب ... وسحابة فوق السها والفرقد
الله أدبه وكمل نفسه ... أكرم عن ربى لا إله وأمجد
ما زال يملأ قلبه من نوره ... ليكون بعد منارة للمهتدى
صان الإله نبيه ومضى به ... والقوم بين عمى وبين تردد
وحثا التراب على رؤوس عداته ... وسرى إلى الصديق عند الموعد
وإذا رعتك عناية صمدية ... فاهزأ بكل مخوف ومهند
ومضى ليشرب فى رعاية ربه ... فى موكب الأفلاك أجمل مشهد
أو على القوم الكرام وكلهم ... أعطى العهود على الجهاد السمرد
جند ترأسهم نبى ملهم ... يمضى كليث فى الحروب مزود

بذلوا النفوس مع النفيس لربهم   وغدوا لدين الله أفضل مسند

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ..

وفى ظل عقيدة الإيمان ، وفى ظل عقيدة الهجرة .. ترك المسلمون أرض الذلة والمهانة وعاشوا آمنين فوق أرض العزة والكرامة حيث هاجروا إلى المدينة ، فوجدوا بها أقوامًا يحبهم الله ورسوله ، ويحبون من هاجر إليهم ، ويؤمنون برسالة نبيهم ويهتدون بهداه ، وهناك استقر أمر الإسلام ، ورفعت راية السلام ، وتكونت دولتهم ، ونهضت أمتهم ، وسمعت كلمتهم ، ورسموا الخطط لسياسة الدنيا ، وهداية البشرية ، وخرجت الجيوش الإسلامية ، تحت إمرة الرسول تارة ، وتحت إمرة أبى بكر وغيره من الصحابة تارة أخرى حتى تكسرت الأصنام ، وتحرر الأنام ، وتلاشت عبودية الإنسان للإنسان ، وذهب عنه الذل والهوان ، وتمزق شمل الأكاسرة وتقطعت أوصال الروم ، وأصبح الإسلام فى مدى عشرين عامًا سيد العالمين ، وصاحب الكلمة فى الأرض ، والسيد المطاع فى الدنيا ، سيوفه مرهوبة ، وكلمته مسموعة ، ورايته مرفوعة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا ، وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً :

﴿ ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ﴾ [سورة الحج : ٤٠] .

وهكذا أيها الناس سبقت مشيئة الله ، أن يؤيد العاملين الصادقين ولو كانوا فى قلة وأن ينصر المؤمنين المخلصين ، ولو غشيتهم الذلة ، وأن يعز من تمسك بالعزة ، ويحيى من التمس طريق القوة ، ويورث الأرض للصالحين المجدين من عباده ، ويؤتى لمن استقام الملك والرياسة ، ويهب لمن كان شعاره الجد والعمل المتمكن السلطان ، ولن يضيع أجر من أحسن عملاً .

وقد خرج عمر بن الخطاب فهاجر قبيل هجرة الرسول بأيام قلائل ، لكن عمر أراد أن يعلن ثورة الهجرة بعد أن نفذت خططها ، وثبت أمرها ، فوقف على رؤوس قريش وعلى باب ندوتهم ، وقال لهم فى تحد صارخ ، وفى عزم صادق : يا معشر قريش ، من أراد منكم أن تثكله أمه ، أو ترمل زوجته أو ييتم ولده أو تطير رأسه ، فليتبعنى وراء هذا الوادى فإنى مهاجر . فكان ذلك إيذانًا بتنفيذ فكرة الهجرة ، وإعلانًا لثورتها .

فاتقوا الله أيها المسلمون : وتذكروا دروس الهجرة ، وخذوا منها العبرة وتعلموا منها أن النصر مع الصبر ، وأن الفوز للعامل المجد ، وأن مع العسر يسرًا .

روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر**

إليه » .

وفى الحديث : **« إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل »** . أو كما قال .. ادعوا الله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى .. وسلام على الذين اصطفى ..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له ..

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله – ﷺ –.. أما بعد :

يقول رسول الله ﷺ : **« لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية »** .

فمن الناس من يفهم أن الحديث ينفى الهجرة بعد فتح مكة ، والواقع يخالف ذلك وهو أكبر دليل وحجة ، فالهجرة باقية كلما دعا إليها الدين أو حالة البلاد .

ومعنى الحديث أن الهجرة فى سبيل نشر دعوة أو مبدأ واجبة فى كل زمان ومكان لإفساح الطريق أمام هذه الدعوة أو ذلك المبدأ ، فإذا انفسح الطريق أو انفتح لم يكن هناك داع للهجرة ، لأن الأمر بعد الفتح يتطلب البناء ، والتعمير ، وإرساء قواعد الدعوة على أساس مبين وذلك هو الجهاد الذى يفتقر إلى نية صالحة هى نية الإصلاح وجمع الكلمة حول راية لا إله إلا الله ، فلا أثرة ولا أنانية ولا انتقام وهكذا فعل محمد ﷺ بعد فتح مكة ، فقد اتخذ طريق الجهاد سبيلا لنشر الدعوة ، وأخذ فى تحطيم الشرك وإصلاح نفوس المشركين فلم ينتقم من أهل مكة بل قال لهم : **« اذهبوا فأنتم الطلقاء »** . وعفا عنهم وهو قادر على الانتقام منهم لقاء ما لقى منهم من اضطهاد وأذى وما لقى المسلمون من تعذيب وتشريد فى حق القادرين على الهجرة ؟.

أما العاجزون فقد عفا الله عنهم ولذلك سمى الله القاعدين عن الهجرة وهم قادرون عليها ظالمين لأنفسهم ، وتوعدهم بالعذاب الشديد .. اقرءوا إن شئتم قول الحق سبحانه :

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًا غفورًا ﴾ [سورة النساء : ٩٦ – ٩٩] .

أيها المؤمنون ... هذه هى الهجرة ولقد رأيتم أن رسول الله ﷺ لقى الكثير من التعب والنصب .. فلا تحزن عبد الله حينما تضطهد لدينك ، أو حينما يشد عليك الحصار ؟.. ولكن كن مع الله .. يكن الله معك ..

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم أصلح أحوالنا وآمن روعاتنا ، واسترنا بسترك الجميل يارب العالمين .

اللهم انصر المسلمين واخذل الكافرين ..

اللهم أعز بفضلك الإسلام والمسلمين ..

إلهى هذا حالنا لا يخفى عليك ، وهذا ذلنا ظاهر بين يديك ، فعاملنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين .

وأقم الصلاة .

ثالثًا

خطب العيدين

١- خطبة عيد الفطر.

٢- خطبة عيد الأضحى.

٢٢ - خطبة عيد الفطر

الحمد لله ... خلق الإنسان وأحسن تصويره ، سبحانه يكور الليل عن النهار .. أحمده كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأسأله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وأن يثبت أقدامنا ، وأن ينصرنا على القوم الكافرين .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .. والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .. الله أكبر كبيرًا .. والحمد لله كثيرًا .. وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ... الملك الحق ، الحي القيوم ، سبحانه مجزل الثواب ومن تاب قبله ، ومن لجأ إليه أناله ، يجود ويصفح ، ويعفو ويسامح ، فسبحانه القائل : ﴿ **إن الله يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ [سورة الزمر: ٥٣] . كرمه مبذول ، وستره مسبول ..

يا قلب إنك إن ترد ... باب الإله فلن يردك
البس لباس تقى وسر ... تدرك بفضل الله رفدك
ودع الحياة إذا دعت ... وانظر لما خلدت بعبدك
أنا قد خلوت عن الورى ... وجعلت حبي فيك وحدك
وأخذت ذكرك غايتي ... وتبعت بالإيمان جندك
يا قلب مالك غيره ... بعد الممات يعيد ذكرك
إياك أن تأوى إلى ... دنيا تضر ولن تمدك
مهما أقمت بها فلن ... تلقى على الأيام خلدك
ستزول عنك بصفوها ... وسيضحك الباقون بعدك

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .. والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا .

طب القلوب ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها ، ونور الأبصار وضياؤها .. اللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود وجلاء النفوس ، وذهاب الهموم ، ونور الأبصار .. محمد ..

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .. والله أكبر .. الله أكبر.. ولله الحمد .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ... جاء شهر رمضان فالتفتنا جميعًا إلى عبادة الله ، والصوم .. وعشنا أيامًا مباركة تتنزل علينا الرحمة ، وتعمنا السكينة ، وتغشانا المغفرة ، وتحفنا الملائكة ، ويذكرنا الله فيمن عنده .. حتى انجلت بصائرنا ، وذهب ما ران على قلوبنا ، وأحسنا بحالنا وقلوبنا ، وعلمنا لذة الخضوع لله رب العالمين .. وأخرجنا الصدقات للفقراء والمساكين ، فرضوا عن الأغنياء ..

واليوم ولى رمضان كما ولى غيره .. وأصبحنا هكذا كما ترون بلا رمضان ليس هناك قيام ليل ، وليست هناك تراويح ، وليس هناك جوع ابتغاء مرضاة الله .

ولكنه ودعنا كما سيأتى رمضان التالى وسيودعنا .. وهكذا خلق الله الكون .. الأفلاك تدور ، والدنيا تتغير ، والإنسان يتغير ، والله لا يعتريه تغير ولا تبدل .. إنما يحاسب الناس على ما قدمت أيديهم إن خيرًا فخير .. وإن شرًا فشر ..

أيها المؤمنون :

يا من أدركتم شهر رمضان فأحسنتم صيامه ، وقيام ليله ، وأخرجتم من أموالكم للمساكين .. هنيئًا لكم .. فلكم الجنات إن شاء الله .. بل ما هو أحسن من ذلك .. ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة • إلى ربها ناظرة** ﴾ [سورة القيامة : ٢٢] .

ولكن إياكم أن تظنوا أنكم بهذا قد بلغتم درجة ، بعدها لا تسألون ، بل والله لتسألن عن الدقيقة قبل الجليلة .. ولتقفن أمام الله ..

﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ [سورة الشعراء : ٨٩] .

﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا** ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٧] .

فإياكم أن يضحك عليكم الشيطان فتنسوا أنفسكم وتخوضوا فى الملذات ، فرب رمضان هو رب شوال ، ورب المحرم ، ورب شعبان ... رب الشهور كلها .

بل يجب عليكم أن تكثروا من العبادة والذكر حتى تكونوا فى رمضان العام كله كما كان يفعل الرسول وأصحابه .

فيا من فرطتم فى جنب الله ولم تصوموا رمضان ، ولم تقوموا ليله ، اعلموا أنكم لو صمتم الدهر كله لتعوضوا يومًا واحدًا فلن تعوضوه .. فلقد ضاعت منكم الفرصة ، وستلقون ردعًا عظيمًا من الله ..

أما تنظرون إلى حالتكم بعد مماتكم ؟.. ماذا ستأخذون من الدنيا الفانية ، إن الكفن يصنع وليس له (جيوب) تأخذ فيها وتملأها ؟ وهناك ما نقدمه من عمل هنا تجازى عليه ..

فإذا أمضيتم أيامكم وحياتكم هكذا فأنتم الأخسرون أعمالاً ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

وإذا قنطتم من روح الله فأنتم الأخسرون أيضًا ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

ولكن عليكم بالتوبة وملازمة طاعة الله .. وقرع باب التوبة والمغفرة ، فكم من عصاة زناة قتلة ، وحوش البشر ، لجأوا إلى الله .. وقرعوا بابه فتاب عليهم وأصلح حالهم .. وأدخلهم الجنة عرفها لهم ..

وهذا رجل كان يطوف بالكعبة فقابله آخر وسمع عندما قال : لبيك اللهم لبيك .. صوتًا يرد عليه : لا لبيك ولا سعديك .. فهرب صديقه منه .. فقال له : أتهرب منى من أول مرة سمعتها .. والذى لا إله غيره إنى أسمعها منذ عشرين عامًا ومازلت أقولها طمعًا فى المغفرة ، لبيك اللهم لبيك .. فجاء النداء لبيك وسعديك .

أيها المسلم اسمع لقول الحق سبحانه يناديك : ﴿ **استغفروا ربكم ثم توبوا إليه** ﴾ [سورة هود : ٩٠] .

وقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا** ﴾ [سورة التحريم : ٨] .

ولقد قال رسول الله ﷺ : « **إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب** » .

أيها المؤمن .. هذا هو العيد .. نجتمع فيه جميعًا بعد العبادة فأحسنوا التفكير فيه ، من أذنب فليستغفر الله .. ألم تعلموا أن عليًا أمير المؤمنين كرم الله وجهه شوهد يأكل خبزًا خشنًا يوم العيد ، فقيل له : يوم عيد وخبز خشن ، قال : اليوم عيد ، وغدًا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو عيد .

إذا ما قال لى ربى ... أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى ... وبالعصيان تأتينى
فما قولى له لما ... يعاتبنى ويقصينى

أيها المؤمنون : هذا عيدكم فابتهجوا فيه ، وأكثروا فيه من التكبير والتهليل ، وتزاوروا فإن فى ذلك المحبة والألفة ، ولا تنسوا الفقراء ، حتى لا يسألوا الناس يوم العيد .. ولقد ورد : (زينوا أعيادكم بالتكبير) .

روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال : « قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « **ما هذان اليومان ؟** » قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : « **قد أبدلكم الله خيرًا منهما ، يوم الأضحى ، ويوم الفطر** » .

أو كما قال ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وكفى ... وسلام على الذين اصطفى ... **الله أكبر** . الله أكبر الله أكبر . الله أكبر كبيرًا ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ... الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .. والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد ..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا رسول الله ... ﷺ وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون .. ومن الواجب علينا أن نبحث أمورنا يوم العيد .. فقد ذل المسلمون وتركوا أوامر ربهم ، ووصايا رسولهم .. وأصبحوا لعبة بين الشرق والغرب .. وأصبحوا ضعفاء بين الأمم ، فياحسرتاه .. وياشقوتاه .. هذا هو العيد الكاذب الذى يأتى عليهم وهم فى حالة الضعف والاستكانة وصدق الشاعر :

عيد بأية حال عدت يا عيد — بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟
أما الأحبة فالبيداء دونهم — فليت دونك بيدا دونها بيد

أيها المسلمون .. أمضوا فى سبيلكم حافظين لحدود الله .. **أعلوا** كلمة الإسلام في كل مكان .. ولا تخافوا من سلطان جائر ، ولا من عدو متعنت ، **ولا** ظالم جبار .. ولكن خافوا من الله الملك الجبار .. وحده .. ينصركم .. ويثبت **أقدامكم** ، إن الإسلام يحتاج إليكم وهو يناديكم ..

خافوا من الله وحده ، أما علمتم هذا الحديث القدسى « **يا ابن آدم لا تخف من سلطان، ما دام سلطانى باقيًا وسلطانى لا ينفد أبدًا ، يا ابن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك ، فإنك إن طلبتنى وجدتنى ، وإن أنست بغيرى فُتُّك ، وفاتك الخير كله .. يا ابن آدم خلقتك للعبادة فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب إن كثر فلا تفرح ، وإن قل فلا تجزع** ».

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾

[سورة الطلاق : ٢ ، ٣] .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .. والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .. الله أكبر كبيرًا .. والحمد لله كثيرًا .. وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلاً .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .

اللهم اجعله عيدًا مباركًا علينا ، اللهم تقبل منّا الصيام والقيام ، اللهم أصلح حال المسلمين بفضلك يارب العالمين .. اللهم انظر لنا فى جمعنا بعين رحمتك يا كريم .

* * *

٢٣ - خطبة عيد الأضحى

الحمد لله رب العالمين ..

سبحانه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر كبيرًا ، الحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله العظيم بكرةً وأصيلا ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

الله أكبر .. ما وقف المسلمون بعرفات يهللون ويكبرون .

الله أكبر : ما اتحد المسلمون .

الله أكبر .. ما جاءت الأفواج من كل مكان ليقفوا فى مكان واحد وفى وقت واحد يدعون ربهم الواحد ، على اختلاف أجناسهم .. وألوانهم .. ولغاتهم ..

الله أكبر .. ما اعتز الإسلام ، وما نصر المسلمون ..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى سلطانه ولا مناوىء له فى علو شأنه .. شهادة مؤمن خضع لله رب العالمين ..

والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا .

سبحانه سبحانه نصر عبده ، وصدق وعده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد . جاء إلى العالم على فترة من الرسل ، فهداهم إلى التوحيد ، وجمعهم على الإيمان بالله الواحد الديان ، وأقام دولة العدل والمساواة .. فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

أما بعد :

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .. شاء الله أن يجمع الناس كلهم بفرضه فريضة الحج على الإيمان والتقوى فهناك قد تركوا أولادهم وذويهم وأموالهم وأزواجهم وبلادهم وجاءوا من كل مكان على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولهجاتهم وألسنتهم يدعون ربًا واحدًا

يقولون فى صوت واحد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

فيجتمعون ويهللون ويكبرون فى أرض وطئتها قدم رسول الله ﷺ ، وشهدت كثيرًا من المحافل الإسلامية ، شهدت الرسول وصحبه ، شهدت الحق فى مواجهة الباطل وهم يقولون لا إله إلا الله ، هم يدعونهم إلى الهدى ، إلى عبادة الله وحده ، وهم لا يريدون إلا الضلال والهلاك ..

واجتماعهم نصر للإسلام فإذا رأيته نطقت بلسانك بلا شعور : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ .. فما أحلى اجتماع المسلمين فى كل مكان .. وعلى أى مكان .. وفى أى زمان ..

لذا كان للجمعة مكانة فى الإسلام فهو مؤتمر أسبوعى حافل ، وكذا لاجتماعكم الآن فى صلاة العيد مكانة عظمى فى الإسلام .

فحينما يجتمع المسلمون ، يتذكرون أحوالهم ، وأعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر واحتياج بعضهم ، ومشكلات إخوانهم ، فيتعاونون جميعًا على البر والتقوى ، ويتعاهدون على العمل والجهاد ..

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا .. لا إله إلا الله .

أيها المؤمنون : يقول الله تعالى ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ۚ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧] .

﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئًا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ۝ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ۝ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ [سورة الحج: ٢٥، ٢٩] .

هكذا أيها المؤمنون يصور الله الحج ، ذلكم الاجتماع الكبير الذى يرهب أعداء الإسلام كم تمنوا أن ينتهى هذا الجمع ولكن أنى لهم .. ولو وعى المسلمون لكان هذا الجمع سوطًا على ظهورهم ونيرانًا تهبط على قلوبهم فتنتزعها .. ولكنهم مازالوا غافلين .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا .. لا إله إلا الله .

أيها المؤمنون .. ومن أجمل ما فى الحج الهَدْى ، وياليتنا نقف بعض الشىء عليه ..

فالهَدْى اسم للحيوان الذى يهدى باسم الله إلى الحرم ، يذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين .. ﴿ **فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** ﴾ [سورة الحج : ٣٦] .

وقد أرشد القرآن إلى الروح الذى يتقبل الله به الهَدْى ، وهو روح الإخلاص والتقوى ، شأن كل التكاليف ، لا يكفى فى تقبلها شكلها ولا صورتها ، وإنما يرفعها إليه الإخلاص والتقوى وهو المعنى المقصود بقوله تعالى : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ [سورة الحج : ٣٧] .

كما لا يناله من الصلاة والحركات والسكنات ، ولا من الصوم ترك المأكولات والمشروبات ، ولكن يناله منها ما يحملان من معانى الخشوع والإخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات .. ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ [سورة المائدة : ٢٧] .

والهَدْى .. يذكرنا بحادثة نبى الله إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل ، وينبه نفوسنا إلى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته فى أعز شىء لديه .. ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾

[سورة الصافات : ١٠٧] .

والعمل بهذه القربة سر اقتصادى يرجع إلى سكان البادية ولعله من مصداق دعوة أبيهم إبراهيم حين قال : ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم • ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] .

ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية ، وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة عن رغبة لا مشقة فيها . وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم ومن ثمن أموالهم ، دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا العطاء .

وربما يتساءل متسائل : ولكنهم أصبحوا الآن أثرياء لا حاجة لهم إلى مثل ذلك ؟ فاسأل الاقتصاديين يعلمونك أن رأس مال أهل الحجاز حتى الآن من الماشية وإن قلت نسبته إلا أنه مازال هو رأس المال ومازال أهل الحجاز ينتظرون موسم الحج من العام إلى العام ففيه الخير الوفير لحياتهم ..

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

أيها المسلمون ونحن نقوم كما يقومون بذبح أضحية ، فاهرعوا إلى منازلكم فاذبحوها وقدموها لفقراء المسلمين حتى يصلح الله لكم أعمالكم .

سئل رسول الله ﷺ يومًا : أى العمل أفضل ؟ قال : « **إيمان بالله ورسوله** » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « **جهاد فى سبيل الله** » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « **حج مبرور** » أو كما قال ..

ادعوا الله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ... ولى الصالحين .. والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولله الحمد .

وأشهد أن لا إله إلا الله ... وحده لا شريك له ..

الله أكبر كبيرًا ، الحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا . المبعوث رحمة للعالمين ..

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ... لا إله إلا الله ..

أمـا بعـد :

فيا أيها المؤمنون .. ويذكرنا الحج يوم القيامة والموت ، فهم هناك مجردون من الثياب ويلبسون ما يشبه الكفن .. فكأنهم يستعدون للموت ويسلمون أنفسهم لله رب العالمين ..

عبد الله .. تذكر يوم يبعث الله الناس جميعًا على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ومناصبهم وأجناسهم فى مكان واحد ، وفى وقت واحد ، ليسألهم سؤالاً يقول لهم : ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ [سورة غافر : ١٦] .. فماذا يجيبون .. أيقولون لهذا ؟ أو لذلك ؟ إنهم الآن أمام الذى لا يغفل ولا ينام .. لا يستطيعون أن يجيبوا بشىء فيقول المولى سبحانه : ﴿ **لله الواحد القهار** ﴾ [سورة غافر : ١٦] .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا .. لا إله إلا الله .

أيها المؤمنون .. هذا يوم عيدكم فأكثروا فيه من ذكر الله أولاً واجعلوه عيد خير ووئام لتصفوا النفوس ، وترتاح القلوب ، وليصفح كل منكم عن أخيه ، ولتقوم بينكم المودة

والرحمة التى رباها فيكم الإسلام ، فتكونون كما أراد الله لكم أن تكونوا .. ولتكونوا بعدها حربًا على أعداء الإسلام .. اتقوا الله يصلح لكم أعمالكم ويهيىء لكم من أمركم رشدًا .. الجأوا إلى الله ولا تلجأوا إلى الملوك والسلاطين والأمراء .. ألم تعلموا هذا الحديث القدسى ؟:

« أنا الله لا إله إلا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوب الملوك كلها فى يدى ، وإن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد إذا عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب .. فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب أكفكم ملوككم » .

اللهم أصلح أحوالنا وآمن روعاتنا ، واجعله عيدًا مباركًا علينا ، واغفر لنا ذنوبنا يارب العالمين ..

* * *

رابعًا
الخطبة عند القبر

١ - خطبة عند القبر (١)

٢ - خطبة عند القبر (٢)

٢٤ - خطبة عند القبر

الحمد لله الذى لا يغفل ولا ينام .. سبحانه حى لا يموت ..

وأشهد أن لا إله إلا الله ... الملك العلام ..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمدًا خير الأنام . اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى ﷺ ..

وبعد : أيها المؤمنون ... ترون بأعينكم هذا العبد كيف يوارى فى التراب .

أيها المؤمنون .. كل نفس لابد وأن تموت ، والموت حق لا شك فيه ، والموت هو الذى يحل المشكلات بين العباد ، وهو الحلقة بين العبد والدار الآخرة .. لا يهاب عظيمًا ولا يحترم كبيرًا ، ولا يرحم صغيرًا ... الموت يأتى بغتة .. وكل نفس بما كسبت رهينة ..

أيها الناس .. كلنا دخل الموت بيته وحل بالأهل والخلان ، وكل منا ودع صديقًا وحبيبًا وقريبًا .. وها نحن الآن نودع آخر .. كان يتكلم منذ قليل وينطق ويطلب ، ويعطى ، ويصف ويتحرك .. ثم أذن الله أن يكون هامدًا .. فكان بين الكاف والنون ..

وكل منهم دخل المقابر وتركناهم ، وسرنا لحالنا ودنيانا ، **فهل أقام أحد منا مع من** واريناهم التراب ؟ وهل آنس أحدنا أعز الأحباب إليه ؟ وهل أخذ الغنى من ماله ليخفف عنه سؤال القبر ؟ وهل استطاع أصحاب الجاه والسلطان أن يفرضوا سلطانهم على الملكين ليخففا عنهم السؤال ؟ وهل ضمن أحد منا أن القبر سيكون له روضة من الروضات ؟ وهل اتعظنا ممن كنا معهم ، وفقدناهم فى لحظات ؟ وهل فكر أحد منا أنه سيودّع ويرحل عن أهله وولده وماله وأنه قبل أن يخرج ويحمل على أعناق الرجال ينادى بأعلى صوته ، ويقول: « يا أهلى ويا جيرانى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى .. جمعت المال من حل ومن غير حل .. فالهناء لغيرى .. والعقوبة علىّ .. » .

ورحم الله أبا الدرداء القائل : أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمل دنيا وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدرى أرضى عنه ربه أم غضب عليه . وأبكانى فراق الأحبة ، وخروج الروح من الجسد وكلما ذكرت الوقوف بين يدى الله » .

وجاء فى الأثر أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد زار المقابر ، وخلع نعليه ثم قال : سلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله لاحقون ، يا أهل هذه الديار نخبركم بما عندنا أو تخبرونا بما عندكم ؟.. فسمع هاتفًا يقول له : أخبرنا بما عندكم يا أبا الحسن ، فقال كرم الله وجهه : أما عندنا فالأموال قد قسمت ، ونساؤكم قد

تزوجت ، ومساكنكم قد سكنها أعداؤكم ، والأولاد قد حشروا فى زمرة اليتامى ، فقال الهاتف : نحن مرتهنون بين يدى الله ، ما قدمناه وجدناه وكل شىء تركناه عندكم خسرناه وليتنا ما تركناه .

أيها الناس : لقد تكرم الله على عباده ومنحهم نعمة الصبر بعد الموت إذ لولاه ما استقام نظام الحياة ، ففى الحديث القدسى :

« سلطت ثلاثًا على ثلاث فلو لم أسلطهم لم ينتظم ملكى : سلطت السوس على الغلال ، فلولا السوس لادخرتها الملوك ، وسلطت الصبر على المصاب ، فلولا الصبر لهلك المصاب . وسلطت النتن على الميت ، فلولا النتن ما دفن الميت » .

أيها الناس ... ألم تسمعوا قول الحق سبحانه : ﴿ **قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [الجمعة : ٨].

والناس إما منهمك وإما تائب مبتدىء ، وإما عارف منتبه .

أما المنهمك فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ، ويشتغل بخدمته، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدًا .

وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة ، وأما العارف إنه يذكر الموت دائمًا لأنه وعد للقائه بحبيبه والمحب لا ينسى قط وعد لقاء الحبيب .

« ثم إن أنجح طريق فى ذكر الموت أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم » .

ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم ، وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم وأنه مثلهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم ، فملازمة هذه الأفكار مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى ، هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب ، فيستعد له ويتجافى عن دار الغرور ، فمهما طاب قلبه بشىء من الدنيا ، ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لابد من مفارقته .

نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال : والله لولا الموت لكنت بكِ مسرورًا ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور ، لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى .

أيها الناس .. لقد قال رسول الله ﷺ : **« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**.

وكان ابن عمر يقول : **« إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر**

الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك » .

وعن على رضى الله عنه : « أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ، وسبب طول الأمل حب الدنيا والأنس بها والجهل باستيعاب الموت فجأة ، ولا تدرى أن ذلك غير بعيد ، فإن الموت لا وقت له من شباب وشيب وكهولة ، ومن صيف وشتاء وخريف وربيع؟ ومن ليل ونهار ، فلا يقدر نزول الموت به مع رؤياه من مات بين يديه ، ولا يقدر أن تشيع جنازته وهو لا يزال يشيع الجنائز فما أغفله وما أجهله ! فسبيله أن يقيس نفسه بغيره ، ويعلم أنه لابد وأن تحمل جنازته ويدفن فى قبره ، ولا علاج لذلك إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب ، وجزيل الثواب .. فمهما حصل له اليقين بذلك ، ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير » .

أيها الناس .. إياكم والتأخير والتسويف . أما علمتم قول رسول الله ﷺ : **« اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »** .

وقال : **« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »** .

أى أنه لا يغتنمهما ، ثم لا يعرف قدرهما إلا عند زوالهما .. وكان الحسن يقول فى موعظة : المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها إلى الله عز وجل ، رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه .. ثم قرأ : ﴿ **فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًا** ﴾ [سورة مريم : ٨٤] . يعنى الأنفاس .. آخر العدد خروج نفسك ، آخر العدد فراق أهلك ، آخر العدد دخولك فى القبر .

أيها الناس :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثان

ها هو أخوكم يُسأل ، فاسألوا الله له الرحمة والمغفرة ، وانصرفوا إلى بيوتكم تائبين إلى الله فقد رأيتم بأعينكم .

اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره ، وولدًا خيرًا من ولده ، وأهلاً خيرًا من أهله .. اللهم أفسح له فى قبره ، وأحسن مدخله . وعافنا واعف عنا ، وتب علينا يارب العالمين .. اللهم لا تفتنا بعده واغفر لنا وله يا أكرم الأكرمين .

٢٥ - خطبة عند القبر

الحمد لله ...

كتب على نفسه البقاء ، وقضى على عباده بالفناء ..

﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًا ﴾ [سورة مريم : ٨٤] .

وأشهد أن لا إله إلا الله ... الملك الجبار .. العزيز الغفار .. وأشهد أن محمدًا رسول الله .. خير المرسلين وسيد الأولين والآخرين .. وبعد ...

فيا أيها الناس ..كان يكلمنا ونكلمه ويحدثنا ونحدثه ثم سكت فجأة فمن الذى أسكته ؟ . إنه الله ! وهذه سنة الحياة .

(اعلموا أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت يتجرعها ، لكان جديرًا أن يتنغص عليه عيشه ، ويتكدر عليه سروره ، ويفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده ، لاسيما وهو فى كل نفس بصدده ، كما قال بعض الحكماء : (كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك) .. واعلم أن الجنائز عبرة للبصيرة ، وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة ، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قسوة ، لأنهم يظنون أنهم أبدًا إلى جنازة غيرهم ينظرون ، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ، ولكنهم على القرب لا يقدرون ، ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون ، فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانهم ، فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها ، فإنه محمول عليها على القرب .. ولعله فى غد أو بعد غد .. قال ثابت الغبانى : كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعًا باكيًا ، فهكذا كان خوفهم من الموت .

والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ، ولا يتكلمون إلا فى ميراثه وما خلفه ، ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله فى جنازة نفسه ، وفى حاله إذا حمل عليها ، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب ، حتى نسينا الله تعالى ، واليوم الآخر ، والأهوال التى بين يدينا ، فصرنا نغفل ونلهو بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة . وكما أن للموت شدة فى أحواله وسكراته وخطرًا فى خوف العاقبة ، كذلك الخطر فى مقاساة ظلمه القبر وديدانه ، ثم منكر ونكير وسؤالهما ، ثم عذاب القبر وخطره إن كان مغضوبًا عليه ، وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور ، والبعث يوم النشور ، والعرض على الجبار ، والسؤال عن القليل والكثير ، ونصب الميزان لمعرفة

المقادير ، ثم جواز الصراط ، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء : إما بالإسعاد وإما بالإشقاء . فهذه أحوال وأهوال لابد لك من معرفتها ، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ، ثم إطالة الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها . وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ، ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ، ويدل على ذلك شدة تشميرهم ، واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء ، وتهاونهم بحر جهنم ، وزمهريرها مع ما يكتنفها من المصاعب والأهوال ، بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت منهم ألسنتهم ثم غفلت قلوبهم ، ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم وقال لصاحبه الذى أخبره : صدقت ، ثم مد يده لتناوله كان مصدقًا بلسانه ومكذبًا بعمله . وتكذيب العمل أبلغ مع تكذيب اللسان ، فمثل نفسك وقد بعثت من قبرك مبهوتًا من شدة الصاعقة شاخص العين نحو النداء ، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤها ، وقد أزعجهم الرعب مضافًا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر ، كما قال تعالى : **﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾** [سورة الزمر : ٦٨] .

وتفكر فى الخلائق وذلهم ، وانكسارهم ، واستكانتهم انتظارًا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم ومتحير كتحيرهم ، فكيف حالك وحال قلبك هناك ، وقد تبدلت الأرض غير الأرض والسموات ..

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾

[سورة إبراهيم : ٤٨] .

وطمست الشمس والقمر ، وأظلمت الأرض ، واشتبك الناس ، وهم حفاة عراة مشاة، وازدحموا فى الموقف شاخصة أبصارهم ، منفطرة قلوبهم .. فتأمل يا مسكين ! فى طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه ، والخجل والحياء من الافتضاح عند العرض على الجبار تعالى ، وأنت عار مكشوف ذليل ، متحير مبهوت منتظر ما يُجرى عليك القضاء بالسعادة أو الشقاء ، وأعظم بهذه الحالة فإنها عظيمة ، واستعد لهذا اليوم العظيم شأنه ، القاهر سلطانه القريب أوانه .. **﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾** [سورة الحج : ٢] . السماء قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت ، والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس إلى الأبدان قد زوجت ، والجحيم قد سعرت والجنة قد أزلفت .. وقد وصف الله بعض

دواهى يوم القيامة . وأكثر من أسمائه ، لتقف بكثرة أسمائه على كثرة معانيه ، فليس المقصود بكثرة الأسماء تكرير الألقاب ، بل الغرض تنبيه أولى الألباب ، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر ، وفى كل نعت من نعوتها معنى . فالويل كل الويل للغافلين ، يرسل الله لنا سيد المرسلين ، وينزل عليه الكتاب المبين ، ويخبرنا بالصفات من نعوت يوم الدين ، ثم يصرف غفلتنا ويقول : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهو فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم** ﴾ [سورة الأنبياء: ٣] .

ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ [سورة القمر: ١] . ويقول : ﴿ **إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا** ﴾ [سورة المعارج: ٦] . ويقول :

﴿ **وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا** ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٣] . ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا ، فلنتدبر معانيه ولننظر فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأسمائه ، ونستعد للتخلص من نواهيه .. فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يتداركنا الله بواسع رحمته . ثم تفكر أيها الإنسان بعد هذه الأحوال فيما يوجه إليك من السؤال شفاهًا من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والفتيل والقطمير ، فبينما أنت فى كرب القيامة ، وعرقها وشدة أهوالها ، إذا نزلت ملائكة من أرجاء السماء إلى موقف العرض على الجبار فيقدمون صفًا صفًا ، محدقين بالخلائق من الجوانب ، وينادون واحدًا بعد واحد ، فعند ذلك ترتعد الفرائص ، وتضطرب الجوارح ، وتشت العقول ، ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ، ولا تعرض قبائحهم على الجبار ، ولا يكشف سترهم على رؤوس الأشهاد . فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء من شدة الهيبة ، ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاهًا عن قليل عمله وكثيره ، عن سره وعلانيته ، وعن جميع جوارحه وأعضائه .

أيها الناس : وفى الحديث الشريف الذى رواه الترمذى : (**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ؟ . وعن شبابه فيما أبلاه ؟ . وعن ماله من أين اكتسبه ؟ . وفيما أنفقه ؟ . وماذا عمل فيما علم ؟ .**) . أيها الناس : هذا أخ لكم قد فارق الدنيا ، فهل نعتبر به ؟ . سنخرج من هنا كما خرجنا من قبل نعتبر لحظات ثم تزول العبر بتناسى القبر ؟ . توبوا إلى الله .. وأخلصوا معه .. واستغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل : اللهم أحسن مدخله ، ووسع له فى قبره وألهم أهله الصبر .. ولا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره ، واغفر لنا وله يا رب العالمين .

* * *

الخاتمـة

وبعد .. فهذا ما وفقنى الله إليه ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

- **أخى الواعظ** : حاول أن تكثر من قراءة القرآن يفتح الله لك ، وانتقل من مكان إلى آخر لنشر الدعوة يسدد خطاك ، ويوفقك لصالح الأعمال ... وحاول أخى أن تحل مشكلات المسلمين ، خاصة بعد تفاقمها ، واستعن بالله فى ذلك .

- **أخى** : إن العالم ينظر اليوم إلى الإسلام نظرة وَجِل يدقق النظر ثم يرتد لخططه ، فلا ينام من خيفته .. إن الإسلام بخير وسيظل بخير إن شاء الله ..

ألم تسمع قول رسول الله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** » .

ولذا وجب عليك وأنت حامل الأمانة أن تلتزم بما حمله لك الإسلام ثم تصوب نظرك إلى أعدائه ، وتعلن الحرب عليهم ، وأن تكون بين المسلمين أخًا لهم ومعلمًا لهم ، ومضمدًا لجروحهم ، تحذرهم من أعدائهم وتبصرهم بحالهم .. وتعلمهم أحكام دينهم .

- وأكرر عليك رجائى بأن تنظر إلى مشكلات المسلمين ، وواقع حياتهم .. وإن استعصى عليك شيء ، فرجائى المراسلة .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

إبراهيم محمد الجمل

فهرس الكتاب

رقم الإيداع : ٤٥٢٣ / ٨٣
977-1340-10-7

To: